الجمهورية اليمنية
وزارة التربية والتعليم
قطاع المناهج والتوجيه
الإدارة العامة للمناهج

الأدب والنصوص والبلاغة

للصف الأول الثانوي

الجزء الأول

المؤلفون

د . أمة الرزاق علي حُمَّد / رئيساً

١ – د. أحمد قاسم الزمر
٢ – د. عبدالرحمن عرفان
٣ – أ. أحمد هادي جمال الدين
٤ – أ. خالد محمد ملهي
٥ – أ. ليلى عبدالخالق ناجي
٦ – أ. محمد عبدالله محسن
٧ – أ. محمد مثنى الخيراني
٨ – أ. نصرة عبدالله الخضر

الإخراج الفني

الصف والتصميم: علي عبد العزيز الصوفي
بسام أحمد محمد العامر

تدقيق التصميم : حامد عبدالعالم الشيباني

١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

النشيد الوطني

رددي أيتها الدنيا نشيدي   ردديه وأعيدي وأعيدي
واذكري في فرحتي كل شهيدِ   وامنحيه حُللاً مِنْ ضوءِ عيدي

رددي أيتها الدنيا نشيدي
رددي أيتها الدنيا نشيدي

وحدتي .. وحدتي .. يا نشيداً رائعاً يملأ نفسي   أنت عهدٌ عالقٌ في كل ذِمّة
رايتي .. رايتي .. يا نسيجاً حِكْتُهُ من كل شمس   اُخْلُدِي خَافِقَةً في كل قِمَّة
أمتي .. أمتي .. اِمنحيني البأس يا مصدر بأسي   واذخُرِيني لَكِ يا أكرمَ أمة

عشتُ إيماني وحبِّي أُمميًا
ومسيري فوق دربي عربيا
وسيبقى نبضُ قلبي يمنيا
لن ترى الدنيا على أرضي وصيا

المصدر: قانون رقم (٣٦) لسنة ٢٠٠٦م بشأن السلام الجمهوري ونشيد الدولة الوطني للجمهورية اليمنية

أعضاء اللجنة العليا للمناهج

أ . د . عبدالرزاق يحيى الأشول.

د . عبدالله عبده الحامدي.	أ/ علي حسين الحيمي.
د/ صالح ناصر الصوفي.	د/ أحمد علي المعمري.
أ.د/ محمد عبدالله الصوفي.	أ.د/ صالح عوض عرم.
أ/ عبدالكريم محمد الجنداري.	د/ إبراهيم محمد الحوثي.
د/ عبدالله علي أبو حورية.	د/ شكيب محمد باجرش.
د/ عبدالله لملس.	أ.د/ داوود عبدالملك الحدابي.
أ/ منصور علي مقبل.	أ/ محمد هادي طواف.
أ/ أحمد عبدالله أحمد .	أ.د/ أنيس أحمد عبدالله طائع.
أ.د/ محمد سرحان سعيد المخلافي.	أ/ محمد عبدالله زبارة.
أ.د/ محمد حاتم المخلافي.	أ/ عبدالله علي إسماعيل.

د/ عبدالله سلطان الصلاحي.

قررت اللجنة العليا للمناهج طباعة هذا الكتاب .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

في إطار تنفيذ التوجهات الرامية للاهتمام بنوعية التعليم وتحسين مخرجاته تلبية للاحتياجات ووفقاً للمتطلبات الوطنية.

فقد حرصت وزارة التربية والتعليم في إطار توجهاتها الإستراتيجية لتطوير التعليم الأساسي والثانوي على إعطاء أولوية استثنائية لتطوير المناهج الدراسية، كونها جوهر العملية التعليمية وعملية ديناميكية تتسم بالتجديد والتغيير المستمرين لاستيعاب التطورات المتسارعة التي تسود عالم اليوم في جميع المجالات.

ومن هذا المنطلق يأتي إصدار هذا الكتاب في طبعته المعدلة ضمن سلسلة الكتب الدراسية التي تم تعديلها وتنقيحها في عدد من صفوف المرحلتين الأساسية والثانوية لتحسين وتجويد الكتاب المدرسي شكلاً ومضموناً، لتحقيق الأهداف المرجوة منه، اعتماداً على العديد من المصادر أهمها: الملاحظات الميدانية، والمراجعات المكتبية لتلافي أوجه القصور، وتحديث المعلومات وبمايتناسب مع قدرات المتعلم ومستواه العمري، وتحقيق الترابط بين المواد الدراسية المقررة، فضلاً عن إعادة تصميم الكتاب فنياً وجعله عنصراً مشوقاً وجذاباً للمتعلم وخصوصاً تلاميذ الصفوف الأولى من مرحلة التعليم الأساسي.

ويعد هذا الإنجاز خطوة أولى ضمن مشروعنا التطويري المستمر للمناهج الدراسية ستتبعها خطوات أكثر شمولية في الأعوام القادمة، وقد تم تنفيذ ذلك بفضل الجهود الكبيرة التي بذلها مجموعة من ذوي الخبرة والاختصاص في وزارة التربية والتعليم والجامعات من الذين أنضجتهم التجربة وصقلهم الميدان برعاية كاملة من قيادة الوزارة والجهات المختصة فيها.

ونؤكد أن وزارة التربية والتعليم لن تتوانى عن السير بخطى حثيثة ومدروسة لتحقيق أهدافها الرامية إلى تنوير الجيل وتسليحه بالعلم وبناء شخصيته المتزنة والمتكاملة القادرة على الإسهام الفاعل في بناء الوطن اليمني الحديث والتعامل الإيجابي مع كافة التطورات العصرية المتسارعة والمتغيرات المحلية والإقليمية والدولية.

أ.د. عبدالرزاق يحيى الأشول
وزير التربية والتعليم
رئيس اللجنة العليا للمناهج

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد . .

فهذا هو الجزء الأول من كتاب « الأدب والنصوص والبلاغة » نقدمه لأبنائنا طلاب وطالبات الصف الأول الثانوي ، وهو يتناول ثلاثة مجالات : المجال الأول، الأدب في العصر الجاهلي شعراً ونثراً ، وتأثّره بالحياة والبيئة في هذا العصر في جوانبها ، الدينية والاجتماعية والسياسية ، وتنوّع الأغراض الشعرية ، وما يتّسم به شعر هذا العصر ونثره من خصائص ومميزات ، إضافة إلى إطلالة مهمّة في عصر صدر الإسلام على الأثر الكبير ، الذي أحدثه القرآن الكريم في الأدب شعراً ونثراً ، ومعرفة خصائص النثر في الخطابة وكتابة الرسائل .

أما المجال الثاني ، فهو عبارة عن نماذج أدبية شعرية ونثرية وقرآنية من العصر الجاهلي، وعصر صدر الإسلام ، لتكون شواهد على تأثر الأدب وتأثيره في الحياة ، ومعرفة السمات والملامح لذلك التأثر .

والمجال الثالث يتناول البلاغة وقد بُدئت بمقدمة عن الفصاحة والبلاغة ، ثم بمجموعة من موضوعات علم « البيان » مثل التشبيه وأنواعه ، والكناية وأقسامها ، والاستعارة .

وهذا الجزء يشكل مع الجزء الثاني بناء واحداً متكاملاً ، يؤدي غايته في تنمية قدرات الطلاب في الفهم ، والتحليل ، والاستنتاج والتذوق ، والنقد، والحكم ، وإبداء الرأي والملاحظة ، بصورة تتلاءم مع المستوى العمري والعقلي للطلاب .

وقد تمَّ إعداد هذا الكتاب في ضوء مجموعة من الأسس التربوية المستوحاة من طبيعة تعليم اللغة العربية ، في مجالات الأدب والنصوص والبلاغة ، وأهدافها ، في المرحلة الثانوية ، ومن خصائص نموّ الطلاب

وحاجاتهم النفسية في هذه المرحلة.

وأهم هذه الأسس : أن تكون الموضوعات ملائمة لميول طلاب هذا الصف، وأذواقهم ، ولتسهم في وصْلهم بالثقافة العربية الإسلامية، وتعمّق معرفتهم بالحياة الأدبية في ذينك العصرين ، ومدى تأثر الأدب بما يدور في المجتمع ، وكيفية تطور علوم البلاغة .

وحرصنا أن تكون تلك الموضوعات محققة لأهداف هذه المجالات ، كما حددتها وثيقة منهاج اللغة العربية مع مراعاة دقة المعلومات، ووظيفيّتها، حتى تسهم في اكتساب الطلاب المهارات المطلوبة .

وانتهجنا في عرض موضوعات الكتاب ، ومعالجة مادته العلمية ، نهجاً يقوم على التطبيق والممارسة ، ارتقاءً بالأداء اللغوي من ناحية ، وإحداث التكامل بين جوانب الخبرة اللغوية من ناحية أخرى . فكل موضوع من موضوعات الكتاب تعقبه طائفة من الأسئلة والتدريبات ، تقيس فهم الطالب واستيعابه لجوانب الموضوع ، وتأخذ بيده في رفق وأناة إلى تبيّن أفكاره وتمحيصها ، وتتيح له مجالاً خصباً لتطبيق ما تعلمه من قواعد ومفاهيم لغوية : نحوية وصرفية وأسلوبية، ضمن فروع اللغة العربية الأخرى .

نتمنى أن يسهم هذا الكتاب في تحقيق الأهداف المرجوة.

والله ولي التوفيق ،،،

المؤلفون

المحتويات

الموضوع	الصفحة

الجزء الأول

الأدب والنصوص :

الموضوع	الصفحة
– رثاء – الخنساء	٥٧
– رفض وتمرد – الشنفرى	٦١
٤ – النثر في العصر الجاهلي	٦٥
– عزاء – أكثم بن صيفى	٧٠
– وصية أم – أمامة بنت الحارث	٧٣
٥ –عصر صدر الإسلام	٧٨
– موقف الإسلام من الشعر	٨٢
– من أثر القرآن في اللغة	٨٥
– القرآن الكريم وأثره في الشعر والنثر	٨٦
٦ – أولاً – النثر في صدر الإسلام	٨٦
أ – نصوص قرآنية :	٩٠
• تفكر وتوحيد	٩٠
• قيم أخلاقية	٩٦
ب – حديث شريف (دين الفطرة)	١٠٠
جـ – رسالة في الفضاء (عمر بن الخطاب)	١٠٤
د – من الخطب (ثبات مجاهد) سعد بن معاذ	١٠٩

الموضوع	الصفحة

الأدب والنصوص

- مفهوم الأدب
- العصر الجاهلي
- عصر صدر الإسلام

تمهيد

الأدب

١ – ما الأدب؟

يعرَّف الأدب بأنه كل ماهو مكتوب ومحفوظ من بدائع القول الشعري والنثري القائم على الأخيلة الدقيقة ، وتصوير المعاني الرقيقة ، مما يهذِّبُ النفس، ويرقق الحسَّ ويثقِّف اللسان .

وقد يُطلق الأدب على جميع ماصُنِّف في كل لغة من البحوث العلمية، والفنون الأدبية .

غير أنه يمكننا تعريف الأدب بإيجاز بالقول : إنه التعبير عما يجيش في الوجدان، وإبراز الأفكار ممزوجة بالمشاعر ، بحيث يظهر الشعر والنثر الأدبي بأسلوب جميل موحٍ مؤثّر ، يستوقف القارئ ، ويهزّ مشاعره .

ولتبيان ذلك يمكننا ضربُ الكثير من الأمثلة ، نختار منها ثلاثة :

أ – يقول امرؤ القيس :

ولو أنَّ ما أَسْعَى لأَدْنى معيشةٍ … كَفَاني – ولم أطلبْ – قليلٌ من المالِ
ولكنمـا أَسْعَى لمجدٍ مؤثَّلٍ (١) … وقد يُدركُ المجدَ المؤثَّلَ أمثالي

ب– ويقول لَبيد بن ربيعة في رثاء النعمان :

ألا كلُّ شيءٍ ماخلا اللهَ باطلُ … وكلُّ نعيمٍ لا مَحالةَ زائلُ
وكل أناسٍ سوف تدخلُ بينَهم … دُويهيةٌ (٢) تصفرُّ منها الأناملُ
وكل امرئ يوماً سيُعلمُ غَيْبُهُ … إذا حَصِّلَتْ عند الإله الحَصَائلُ
فإنْ أنتَ لم ينفعْك علمُك فانتسِبْ … لعلَّك تهديكَ القرونُ الأوائلُ

جـ– ويقول حسان مادحاً :

لله درُّ عصابةٍ نادمتُهم … يوماً بجلَّقَ (٣) في الزمانِ الأول

(١) مؤثل : أصيل عظيم. (٢) دويهية : تصغير داهية والمقصود بها الموت .
(٣) جلّق : اسم لدمشق.

يسقونَ منْ وَردَ البريصَ (١) عليْهِـمُ بَرَدَى (٢) يصفِّق بالرَّحيقِ السَّلْسَـل
بيضُ الوجوهِ كريمة أحسابهـم شُمُّ الأنـوفِ من الطِّـرازِ الأولِ

لاحظْ عاطفةَ الفخر لدى امرئ القيس ، وعاطفة الحزن لدى لَبيد ، وعاطفة الإعجاب لدى حسَّان . فأقوال هؤلاء الشعراء جمعت بين الأفكار الجليلة ، والعواطف المؤثرة ، مما جعلها تستحق أن تكون أدباً رفيعاً مازلنا نردِّده ونستمتع به منذ أكثر من خمسة عشر قرناً .

وهكذا نرى أن دراسة الأدب تعلمنا تذوق الأقوال الشعرية والنثرية الجميلة ، واكتشاف الجوانب الوجدانية من الحياة ، والتعبير عنها بالكلمات الموزونة العذبة . والأدب الجميل تعبير إنساني رفيع يحمل سر الخلود في كل قطعة أدبية .

٢ - تاريخ الأدب

تاريخ الأدب علمٌ يبحث عن أحوال اللغة ، وما أنتجته قرائح أبنائها من الشعر والنثر البليغ في مختلف العصور . كما يبحث أسباب تطور الأدب وأسباب ضعفه، ويرصد حياةَ وإبداعَ كبار الشعراء والكتّاب ، متعرِّضاً لأساليبهم وخصائص تفوقهم ، وتأثيرهم وتأثرهم .

وباختصار يمكننا القول : إن تاريخ الأدب وصفٌ متسلسل زمنياً لكل مادُوِّن من أدب شعراً ونثراً ونقدا .

٣ - العصور الأدبية

يتفق مؤرخو الأدب – في الغالب – أن العصور العربية الأدبية سبعة هي :

١ – العصر الجاهلي .
٢ – عصر صدر الإسلام .
٣ – العصر الأموي .
٤ – العصر العباسي الأول .
٥ – العصر العباسي الثاني .

(١) البريص : موضع أو نهر بالشام (٢) بردى : نهر في الشام .

٦ – العصر المملوكي والتركي .

٧ – العصر الحديث .

وفي هذا الصف سندرس ثلاثة عصور ، هي : العصر الجاهلي ، عصر صدر الإسلام ، العصر الأموي .

ويمكن أن نميز لدى دراستنا هذه العصور السمة الرئيسة لكل عصر كما هو الآتي :

١ – العصر الجاهلي :

اتسم فيه الأدب والشعر على وجه التحديد بالقوة والجزالة اللغوية ، كما اتسم بالتعبير عن الجماعة الممثلة بالقبيلة ، ماعدا القليل الذي مثل ذاتية الشاعر ،كشعر الصعاليك [١] كما حمل هذا الأدب الأفكار المتمثلة بالأسئلة الكبرى عن الموت وغموض المصير .

٢ – عصر صدر الإسلام :

اتسم بزوال أسئلة الموت والمصير وغيرهما ، لأن المسلمين في ظل عقيدتهم اطمأنوا إلى أجوبة مقنعة ، عما يشغل الإنسان في الحياة ، وطبيعة الوجود، وغموض المصير . كما اتسم بنبذ العصبيات القبلية ، وإرساء قيم التوحيد .

٣ – العصر الأُموي :

اتسم بابتعاث العصبية القبلية ، بعد أن كاد الإسلام أن يمحوها بسبب المصالح التي تغلبت أحياناً على المبادئ ، فعلت مكانة الشعر السياسي ، وشعر الهجاء الذي أضحى لوناً بارزاً ، تماماً كبروز الغزل العذري[٢] في هذا العصر .

---

(١) المقصود بالصعاليك هنا جماعة خارجون على العرف ، رافضون التقاليد ، ويعتبر شعرهم نتاجاً وإفرازاً لواقع الحياة في هذا العصر .

(٢) المقصود به الغزل العفيف .

العصر الجاهلي

تحدد فترة الأدب الجاهلي بمائة وخمسين عاماً قبل الإسلام تقريباً .

واتصاف العصر بالجاهلي لايعني اتصافه بالجهل الذي هو ضد العلم ، لكنه الجهل الذي هو ضد الحِلْم ، لأن من معاني الجهل السَّفَهَ وثورةَ الغضب يقول تعالى : ﴿ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٦٧ ﴾ (١)

ويقول عمرو بن كلثوم :

أَلا لايَجْهلنْ أَحدٌ علينا فنجهلُ فوقَ جهلِ الجاهلينا

ويقول الفرزدق :

أَحلامُنا تَزِنُ الجبالَ رَزَانةً وتَخالُنا جِنّاً إِذا مانجهـــــــلُ

ويقول جرير :

أَحلامُنا تَزِنُ الجبالَ رَزَانةً ويفوقُ جاهلُنا فعالَ الجُهَّلِ

فالجهل في الأمثلة السابقة هو السَّفَهُ والطيشُ والنَّزَقُ ، وليس انعداماً ، أو فقراً في العلم والمعرفة .

في هذا العصر كان العرب فئتين :

عرب الشمال ، وهم العدنانيون الذين سكنوا الحجاز ونجد ، وامتدت قبائلهم حتى بادية الشام . كانت حياتهم مطبوعةً بالبداوةِ والخشونةِ بسبب قسوة الصحراء، وقلة الكلأ والماء .

ورغم خشونة الحياة لدى عرب الشمال ، فقد كان لهم النصيب الأوفر من الشعر والشعراء .

عرب الجنوب ، وهم القحطانيون أصحاب الحضارة اليمنية العريقة ،التي اشتهرت فيها ممالك معين وسبأ وحمير ذات الدولة المركزية ، ولدينا الكثير من المعلومات عن هذه الحضارة بواسطة النقوش المكتوبة بخط المسند . فلقد ازدهرت التجارة والزراعة ، وبلغ الفن المعماري مرتبة رفيعة ببناء القصور والسدود التي تحجز المياه لري الأراضي الزراعية .

(١) البقرة : ٦٧ .

وتكمن عظمة هذه الحضارة في أنها كانت نامية متطورة من داخلها ، وليست وافدة من خارج البيئة العربية .

مظاهر الحياة في العصر الجاهلي

للحياة في العصر الجاهلي مظاهر بارزة تتعلق بالجوانب الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية ، تركت بصماتها على الأدب تأثُّراً وتأثيراً .

١ – الحياة الاجتماعية

كانت القبيلة هي النواة الاجتماعية التي يتألف منها المجتمع في العصر الجاهلي، وغالباً ماتسمى باسم الأب كمضر وربيعة ، ونادراً ما تسمى باسم الأم كحنيفة وبجيلة .

ونظراً لتحمس العربي الجاهلي للعصبية التي يرى فيها فلسفتَهُ في الحياة ، فقد برزت بعض المظاهر الاجتماعية السلبية مثل الثأر والتناحر والتعصب ، سواء أصابت القبيلة أم أخطأت ، يقول دُرَيْدُ بن الصِّمَّة :

وما أنا إلا من غَزِيَّةَ إن غَوَت غَويتُ وإن تَرْشُد غزيَّةُ أرشُدِ

إلا أن ذلك لم يمنع ظهورَ مجموعة من القيم والمثل الأخلاقية بسبب مجمل الظروف في تلك البيئة، فالحياة الحربية جعلتهم شجعاناً ينجدون من يستغيث بهم، والجدب في البادية دفعهم إلى أن يكونوا في الجود والكرم المثال الأعلى ، وكثرة التنقل جعل العربي محباً للحرية ، آبياً للضيم ، صادقاً في قوله ، معتزاً بنفسه .

٢ – الحياة السياسية

تتجلى مظاهر الحياة السياسية في ثلاثة جوانب هي :

الجانب الأول : الحكومة القبلية ، ويُعدّ شيخُ القبيلة رأسها ، يمارس التحكيم لفضّ المنازعات والخلافات التي تحدث داخل القبيلة ، وقد يُؤدي عدم التزام الحكم إلى تأزم الوضع بين القبائل ونشوب الحروب .

الجانب الثاني : وهو حكم المدن التجارية، حيث تتركز سلطة الحكم بيد طبقة واحدة، من التجار أصحاب النفوذ المادي والمعنوي، كحكم قريش ذي النفوذ التجاري

والاجتماعي في مكة .

الجانب الثالث : وهو وجود النفوذ الأجنبي، فقد كان الصراع السياسي حول الزعامة شديداً بين الإمبراطوريتين القديمتين : البيزنطية في الشام ، والساسانية (الفارسية) في العراق؛ حيث كان لهذا الصراع تأثير بارز على حياة المجتمع العربي في هذا العصر.

٣ – الحياة الثقافية

نعني بالحياة المعرفية مجموعة المعارف التي اكتسبها العرب نتيجة الطبيعة الجغرافية لشبه الجزيرة العربية ، وطرق حياتهم وانتقالهم من مكان إلى آخر ، والظروف المعاشية التي كانت تحيط بهم .

لقد كان لبعض القبائل العربية – كالتبابعة في اليمن ، والمناذرة في الحِيْرة، والغساسنة في الشام – حظ وافر من المعرفة والثقافة .

وأبرز معارفهم الأنواء .. أي هبوب الرياح ، وسقوط المطر ، وحركة النجوم .

ولعرب السواحل معرفة بالملاحة البحرية . كما كانت للعرب معارف أخرى، اكتسبوها عن طريق الاتصال بالأمم المجاورة ، كعلم الطب .

وكما خلف العرب شعراً يدل على مستوى رفيع ، فقد تركوا لنا الكثير من الحِكَم والأمثال ، تؤكد هذا المستوى في البيان والقول .

٤ – الحياة الدينية

دانت أكثرية العرب بالوثنية ... أي عبادة الأصنام ، مع اعتقاد الكثير بوجود خالق واحد للكون والحياة والأحياء، وبأن هذه الأصنام إنما وجدت لتقرِّبهم إلى الله زلفى، كما قال عنهم القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ (١)

على أن قسماً من العرب قد تعرف على الديانتين السماويتين : اليهودية والنصرانية ، فانتشرت الأولى في اليمن ويثرب ، والثانية في ربيعة وغسان ، وبين أهل الحيرة .

---

(١) الزمر من آية : ٣ .

تلك أهم جوانب الحياة في شبة الجزيرة العربية .

والآن بعد أن تناولنا مجمل الظروف المؤثرة على الأدب ، ندخل في شعر هذا العصر .

الشعر في العصر الجاهلي

وصل إلينا الكثير من الشعر الجاهلي بمستوى فني عالٍ ، مما جعل بعض الباحثين يقولون إن عمر الشعر الجاهلي أكثرُ من قرن ونصف ، وإن ما وصلنا هو مستوى رفيع قد سبقته مستويات كثيرة ، جعلت هذا الواصل إلينا بهذا النضج الملفت والاقتدار ، مما جعل الأمم غير العربية – فيما بعد – تشهد بأن العرب قد اختصوا بالفصاحة والأدب الرفيع الذي لايُبارون فيه .

ولكن كيف وصلنا هذا القدر من الشعر الجاهلي ؟ وما مصدره ؟ الواقع أن هذا الأمر يحتاج إلى وقفة ، فرغم أن العرب عرفوا الكتابة إلا أن معظم ماوصلنا من شعرهم في العصر الجاهلي كان مشافهة ، حيث لعبت أسواق القبائل – مثل : سوق عكاظ – دوراً مهماً في تناقل إبداعات شعرائهم وحفظه في الذاكرة .

لقد مزجت هذه الأسواق التجارة بالثقافة ، وأضحت أشبه ماتكون بمِهْرجانات أدبية وثقافية ، نمتْ فيها تقاليد التحكيم في الخصومات ، والتشاور في المهمات، والمفاخرة بالشعر ، وكان من أشهر المحكمين في الشعر النابغة الذبياني ، الذي كانت تنصب له خيمة من جلد في عكاظ ، فَيَعرض عليه الشعراءُ شعرَهم .

وهكذا لم يدوَّن هذا الشعر إلا في فترة لاحقة حين قام مجموعة من الرواة بهذا الدور أمثال أَبي عمرو بن العلاء ، وحَمَّاد الراوية ، وخَلَف الأحمر .

ومن مصادر الشعر الجاهلي – كذلك – المختارات (١) ، ولعل أقدم ماوصل إلينا منها : **المُفضَّليات** للمُفَضَّل الضبي ، وتحتوي على مئة وست وعشرين قصيدة لسبعة وستين شاعراً ، منهم سبعة وأربعون شاعراً جاهلياً .

وتأتي **الأصمعيات** لعبد الملك الأصمعي ، وتحتوي على اثنتين وتسعين قصيدة لواحد وسبعين شاعراً ، منهم أربعة وأربعون شاعراً جاهلياً .

وهناك نوع آخر من المختارات يختلف عن المفضليات والأصمعيات ، وهذا النوع

(١) المختارات : كتب متداولة ، موجودة في المكتبات وتباع في دكاكين الكتب .

مجموعتان : **حماسة أبي تمام** ، **وجمهرة أشعار العرب** ، وفيهما من الشعر الجاهلي وغيره .

وتعتبر المعلقات :

أهم ماوصلنا من الشعر الجاهلي مكتوباً . فقد حظيت بالدراسة والشرح والترتيب على هيئة كتاب ، أو مؤلف مستقل لدى أكثر من باحث ودارس، إلى جانب ذكرها في بعض المختارات مثل الجمهرة لمحمد بن أبي الخطاب .

الواقع أن أسماء هذه القصائد تجعلنا نتساءل : لم سميت بالمعلقات ؟

المعلقات من أجود ماوصل إلينا من الشعر الجاهلي وتسمى كذلك بالمسمَّطات، والمقلَّدات ، والمذهَّبات .

وللعلماء في تفسير كلمة « المعلقات » آراء مختلفة : منها أنها سميت كذلك لأن العرب أعُجبوا بها ، فكتبوها بماء الذهب على القُباطِيّ (١) وعلقوها على أستار الكعبة .

وينكر بعض العلماء القدماء والمحدثين هذا الرأي ، ولا يقبلون به ، ويرون أنها سُميت بالمعلقات لنفاستها أخذاً من كلمة « العِلْق » بمعنى النفيس . ويقال أن أول من جمعها في ديوان خاص (حماد الراوية) ، وهي عنده سبع ، وأصحابها : امرؤ القيس وزهير وطرفة ولَبيد وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلِّزة وعنترة . والمفضل يرى أنها سبع أيضاً مع إضافة الأعشى والنابغة بدلاً من الحارث وعنترة .

ويعدها التبريزي عَشْراً ، وهي لكل الشعراء الذين سبق ذكرهم بالإضافة إلى قصيدة عبيد بن الأبرص .

وللمعلقات هيكل متميز :

تضم بعضُ المعلقات أكثرَ من مئة بيتٍ كمعلقة طرفة ، وعمرو بن كلثوم ، وبعضها أقل من مئة . تبدأ المعلقة بالوقوف على الأطلال ، حيث يتذكر الشاعر حبيبته والديار المتروكة بعد رحيلها وأهلها ، ثم ينتقل إلى وصف الطريق الذي قطعه بما فيه من وحوش ، ثم يستطرد إلى وصف الناقة أو الفرس ، ويخلص بعد ذلك إلى

---

(١) ثياب من كتان .

الغرض الرئيسي .

ومطالع هذه المعلقات المتمثلة بالوقوف على الأطلال متداولة على الألسنة لشهرة هذه القصائد –كما ذكرنا – لذلك كان لزاماً علينا أن نقف على مطالع أهم المعلقات ، وهي : معلقات : امرئ القيس ، وطرفة ، وزهير ، وعنترة ، وعمرو بن كلثوم، والحارث بن حلْزة .

يقول امرؤ القيس :

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومَنْزِلِ ... بسِقْطِ اللِّوى بين الدَّخول فحوملِ[١]
كأني غداةَ البين يومَ تحمَّلوا ... لدى سَمُراتِ الحي ناقفُ حنظلِ

ويقول طرفة :

لخولة أطلالٌ ببرقةَ ثَهمد ... تلوحُ كباقي الوَشْمِ في ظاهر اليدِ
وقوفاً بها صحبي عليَّ مَطِيَّهُمْ ... يقولون لا تهلكْ أسىً وتجلَّدِ

ويقول عنترة :

هل غادر الشعراءُ من مُتردَّمِ ... أم هل عرفتِ الدارَ بعد توهُّمِ
يادارَ عبلة بالجواءِ تكلّمي ... وعِمي صباحاً دار عبلة واسلمي

ويقول زهير :

أمن أمَّ أوفى دمنةٌ لم تَكَلَّم ... بحومانة الدَّرَّاج فالمُتَثَلِّمِ
ودارٌ لها بالرَّقمتين كأنها ... مراجيعُ وَشْمٍ في نواشرِ مِعْصَمِ

ويقول عمرو بن كلثوم :

ألا هُبِّي بصحنكِ فاصبحينا ... ولاتُبقي خمورَ الأَنْدرينا[٢]

ويقول الحارث بن حلِّزة :

آذنتْنا ببينها حسناءُ ... رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواءُ

---

(١) سقط اللوى، والدخول، وحومل: أسماء أماكن . (٢) اسم مكان بالشام.

الشعراء الصعاليك

الصعلوك في اللغة : الفقير الذي لا يملك المال ، والصعاليك الذين تذكرهم كتب الأدب وتاريخه جماعة من فقراء العرب ، نبذهم مجتمعهم الجاهلي ، فقامت حياتهم على السلب والنهب . منهم من نُبذوا لعدم اعتراف آبائهم بنسبهم لسواد لونهم فسُمُّوا بأغربة العرب ، ومن هؤلاء : السُّليك بن السُّلَكه وتأبط شراً والشنفرى . ومنهم من نبذتهم قبائلهم بسبب جرائرهم ولأسباب تتعلق بالثأر والمنازعات المختلفة . ومنهم من احترف الصعلكة احترافاً مثل عروة بن الورد ، وقبيلتي فَهْم وهُذَيل .

وبما أن ظاهرة الصعلكة كانت نتاجاً لبعض السلبيات التي سادت العصر الجاهلي ، فقد اختفت تماماً بعد ظهور الإسلام « لا فضل لعربي على عجمي إلاّ بالتقوى » .

ويمتاز الصعاليك بالشجاعة والصبر وسرعة العدو ، حتى سُمُّوا بالعدائين ، وتضرب بهم الأمثال في شدة العدو ، فيقال : أعدى من الشنفرى » و « أعدى من السُّليك » وتروى عنهم أقاصيص في هذا الجانب ، من ذلك مايقال عن تأبط شراً ، من أنه كان أعدى ذي رجلين وذي ساقين وذي عينين ، وأنه كان ينظر إلى الظباء فينتقي أسمنها ، ثم يجري خلفها فلا تفوته ، ويقول هو عن نفسه :

لاشيء أسرعُ مني ليس ذا عذرٍ وذا جناح بجنب الريدِ خفّاق [1]

ويقال إن قفزات الشنفرى قيست ليلة مقتله ، فكانت الواحدة منها قريباً من عشرين خطوة [2].

وتتردد في أشعارهم جميعاً صيحات الفقر والجوع ، والثورة على الأغنياء والأشحّاء [3] ، والتغني بمغامراتهم وبالكرم والبر بالأهل والأقارب والفقراء .ويقال: إنهم كانوا ، لايسلبون سيداً كريماً .

ولعل من أنبل الصعاليك عروة بن الورد العبسي ، ويوصف بالصعلوك الشريف ، فقد رفع الصعلكة ، فجعلها ضرباً من ضروب السيادة والمروءة .

---

(١) ذا العذر : الفرس ، ذا الجناح : الطائر ، الريد : حرف الجبل. (٢) الأعلام للزركلي. (٣) الأشحاء : البخلاء .

وهو القائل :

أقسّم جسمي في جسومٍ كثيرةٍ وأحسو قراح الماءِ ، والماء باردُ

أي أنه يقسم طعامه بينه وبين الفقراء ، بل يؤثرهم على نفسه بكل طعامه في أيام الجدب والبؤس ، وزمهرير الشتاء ، ويكتفي بشرب الماء البارد .

وعروة بن الورد أحد شجعان عبس وأشرافهم ، ولم تخلعه قبيلته كالشَّنْفَرَى وتأبط شراً ، وقد تصعلك شفقة بالمستضعفين والفقراء من قبيلته .

ومن أبرز سمات شعر الصعاليك : الارتباط بالطبيعة ووصف أحوال الإنسان المتشرد ومعاشرة حيوانات الصحراء بعيداً عن الإنسان ، والتخلص من المقدمة التقليدية للقصيدة الجاهلية ، كما أن شعرهم يجمع عناصر قصصية كالشخصيات والأحداث والإثارة ، والتسلسل الذي يقود إلى الخاتمة .

خصائص الشعر الجاهلي

الشعر الجاهلي مرآة انعكست فيها كل مظاهر الحياة العربية ، فقد مثل البيئة خير تمثيل ، وتناول كل جانب من جوانب الحياة البدوية ،فتحدث عنها بالتفصيل ، صور مافيها من جبال ووهاد وكثبان وطرق ومرابع ، ووصف السحب والأمطار والسيول والنبات والحيوان ، وصوّر حال الحيوانات في طردها وقتالها ، وأمنها وخوفها ، ووصف المنازل والديار ، والآثار والدمن ، وحياة الارتحال ، وصور القوافل وهوادج النساء ، وتابع القافلة الظاعنة في سيرها ، والأماكن التي تمر بها ، والمواضع التي تنزل فيها ....، وماخلّف الظاعنون(١) من الحجارة والأثافي(٢)...

لقد رسم الشاعر الجاهلي صورة صادقة للعصر في عاداته ومثله العليا وطبيعة أهله في الحرب والسلم ، ووصف خير ذلك العصر وبؤسه وشقاءه في الجدب والقحط، حر الهاجرة وبرد ريح الشمال ، إنك لتجد ريح البادية وطعم الصحراء في أي قطعة أو قصيدة .

ولانكاد نعرف شيئاً عن بدايات الشعر الجاهلي ، فما وصلنا إلاشعر راقٍ فنياً ، استطاع أن يفرض سيطرته الفنية على الشعر العربي كله، أو بتعبير أدق على أولئك الذين سكنوا بيئات أخرى ، أو الذين بَعُد بهم الزمان فعاشوا في قرون لاحقة ، وفي هذا الشعر نجد مادة الشاعر – التي يصوغ منها معانيه – مستمدة مما حوله من بيئة صحراوية ، الأمر الذي حدد أفق الشعراء في إطار تلك البيئة ، فظهر من جراء ذلك : التكرار في الصور والمعاني عند الشعراء ، أو عند الشاعر الواحد نفسه ، وقد شعروا بذلك وضاقوا منه ، ويقول قائلهم :

ما أرانا نقول إلا معاراً　　　أو معاداً من لفظنا مكرورا

فلم يبق أمام الشاعر إلا أن يظهر أصالته ويضيف لمساته وإضافاته ، وهي إضافات تدخل في باب التنويعات على نفس اللحن ويقسم الباحثون خصائص الشعر الجاهلي إلى معنوية ولفظية .

---

(١) الظاعنون : الراحلون . (٢) الأثافي : جمع أثفية ، وهي حجارة الموقد التي يوضع عليها القدر .

١ - الخصائص المعنوية

أ - البساطة والوضوح :

معاني الشعر الجاهلي واضحة بسيطة تلائم الفطرة ، وتنسجم وطبيعة المجتمع البدوي ، فالبساطة والوضوح أثران من آثار البيئة ، وصفاء الذهن واعتدال المزاج ، وهما يدلان على عقلية هادئة لا اضطراب فيها ولا قلق .

أما ما قد نجد من غموض ، فليس ذلك راجع إلى التجريد أو الانطلاق في عالم المعقولات ، وإنما يرجع إلى غرابة بعض الألفاظ، وما في تراكيبهم من إيجاز وحذف وتلميحات إلى حوادث تاريخية أو عادات وعقائد . . .

ب - الصدق والواقعية :

كذلك من مظاهر هذه البساطة : الصدق في التعبير في نقل الصور والمشاهد نقلاً يكاد يكون أميناً ، وكذا في تسجيل الوقائع والذكريات من غير غلو ،أو مبالغة (في الغالب) .

جـ - تفكك القصيدة :

انعكست حركتهم الدائبة في حياتهم على شعرهم ، فامتلأ بحيوية دافقة ، ولذلك كان وصفهم للحيوان وصفاً متحركاً ، يفيض بالحياة ، كما أن هذه الحركة الدائبة جعلتهم يتنقلون بين المعاني ، فصار البيتُ والبيتان الوحدة المعنوية المستقلة للقصيدة ، ومن ثم أصبحت القصيدة الجاهلية معرضاً لمعان وموضوعات شتى يربطها خيط نفسي يتعلق بذاتِ الشاعر .

٢ - الخصائص اللفظية

أ - خشونة الألفاظ :

تشيع في الشعر الجاهلي الألفاظ الغريبة ، خاصة مايتعلق منها بأشياء من محض البيئة الجاهلية ، وكذلك لتأثرهم بمظاهر الغلظة والقوة الظاهرة في طباعهم ونظامهم الاجتماعي .

ب – البعد عن التكلف :

ألفاظ الشعر الجاهلي بدوية ، حقيقية ، بعيدة عن التنميق والمحسنات ، إلا ماجاء عفو الخاطر .

جـ – التصــويــر :

تأتي أوصاف الشعر الجاهلي لوحات كاملات ، يوفرَّ لها كل أسباب الصور الجميلة الموحية المؤثرة ، فيها الجو الملائم من المكان والزمان واللون وحتى الصوت ، وقد اقتضى ذلك عناية بالأجزاء والتفاصيل ، واهتماماً كثيراً بالتشبيه .

وهناك صور أخرى أكثر دقة ، وأبعد خيالاً ، وألصق بالفن والشاعرية ، تلك هي الصور التي عمادها الاستعارة والكناية ، فالاستعارة تمثل مرحلة النضج وقوة التصور ورقة الإحساس ، والكناية تدل على البراعة في صياغة المعاني بأسلوب رفيع وعبارة موجزة وموحية .

وهكذا نكون قد وقفنا على الأدب وعصوره، وتناولنا جوانب الحياة المختلفة في العصر الجاهلي ، ووقفنا وقفة خاصة عند الشعر في هذا العصر والرواية ودور الأسواق والتدوين .

ونظراً لما تحتله المعلقات من مكانة خاصة في الشعر الجاهلي فقد استقلتْ بجزء خاص شمل التعريف، وهيكل المعلقة، ونماذج من مطالع بعضها .

وبسبب أهمية الوقوف على خصائص الشعر الجاهلي لم يغفل الكتاب وقفة عندها لمعرفة ما يتميّز به أدب كل عصر عن غيره .

* * * * * * * * * * * * *

أسئلة وتدريبات

١ – عرِّف الأدب .

٢ – عمَّ يبحث تاريخ الأدب ؟

٣ – اذكر العصور الأدبية مرتبة .

٤ – بم اتسم الأدب في كل من العصر الجاهلي ، وعصر صدر الإسلام ، والعصر الأموي؟

٥ – اشرح بيتي لبيد التاليين :

وكلُّ أناسٍ سوفَ تدخلُ بينَهم ... دُوَيْهيةٌ تصفَرُّ منها الأناملُ

وكل امرئٍ يوماً سيُعلم غَيْبُهُ ... إذا حَصلتْ عند الإله الحَصَائلُ

٦ – ما الفرق بين دلالة كلمة «عصابَة» عند حسان ، ودلالتها الآن ؟

٧ – علام يدل الوجه الأبيض ، والأنف الأشم ؟

٨ – قارن بين بيتي جرير والفرزدق عن الجهل .

٩ – اختر الإجابة الصحيحة من بين الأقواس فيما يأتي :

- العلم بالأنواء يتعلق بـ : (الملاحة ، الطقس ، البناء) .
- جاءت كلمة المعلقات دالة على : (النسج ، الطول ، النفاسة) .
- تكمن عظمة الحضارة اليمنية في : (النقوش ، الحواجز ، الأدب) .
- عدد المعلقات لدى حماد الراوية : (سبع ، تسع ، عشر) .
- العصبية أقرب إلى : (الموضوعية ، المسؤولية ، العاطفة) .
- من معاني الغضب (السَّفه والنزَّق ، الطيش والحزن ، الحَميَّة والنجدة) .
- الذي جعل المعلقات عشراً هو (ابن العلاء ، التبريزي ، المفضل الضبي) .
- بدأ التدوين في : (العصر الجاهلي ، صدر الإسلام ، مابعدهما) .

١٠ – أين عاش عرب الشمال ؟ وكيف كانت حياتهم ؟

١١ – ما أسباب بروز التناحر والثأر في العصر الجاهلي ؟

١٢ – ما مظاهر الحياة السياسية في الجزيرة العربية ؟

١٣ – علام يدل ماخلّفه العرب من الشعر والحِكَم ؟

١٤ – ما أهم جوانب الحياة الدينية في العصر الجاهلي ؟

١٥ – كم يقدر عمر الأدب في العصر الجاهلي ؟

١٦ – كيف وصلنا الشعر الجاهلي ؟

١٧ – مادور الأسواق فيما يخص انتشار الشعر الجاهلي وتطوره ؟

١٨ – ما أهم مصادر الشعر الجاهلي المكتوبة ؟

١٩ – الشعر الجاهلي مرآة انعكست فيها كل مظاهر الحياة العربية . وضح ذلك .

٢٠ – ماسبب التكرار في صور ومعاني الشعر الجاهلي ؟

٢١ – وضح الخصائص اللفظية والمعنوية للشعر الجاهلي .

٢٢ – لم برزت ظاهرة الصعلكة ؟

٢٣ – لم اختفت هذه الظاهرة بعد الإسلام ؟

٢٤ – لمَ يوصف عروة بن الورد بالصعلوك الشريف ؟

٢٥ – ما أبرز سمات شعر الصعاليك ؟

وصف الجواد

امرؤ القيس

التعريف بالشاعر

هو امـرؤ القيـس بن حجـر الكندي ، من مـواليـد أوائل القـرن السـادس الميـلادي تقريباً ، يلقب بالملك الضِّلّيل . قدمه النقاد على معاصريه من الشعراء في الجاهلية ، لما لشعره من مكانة .

وهو من قبـيلة كـندة اليـمنية ، هاجـرت من غـرب حضـرموت إلى نـجد . وهنـاك كـان أبـوه ملكاً على بني أسـد وغطفـان . أمـه فـاطمـة بنـت ربيـعـة أخـت كـليـب ، والشاعر المهَلهِل.

طـرده أبـوه لأنه كـان ميـالاً إلى العـبث واللـهـو ومعـاقـرة الـخـمرة . وعـنـدما قَتَل بنـو أسد أباه قال : لاصحـوَ اليـوم ولاسُكـرَ غـداً ، اليـومَ خـمـر وغـداً أمـر . سـافر إلـى القسطنطينية [1] يطلب العون كي يثأر لأبيه، لأن كندة كانت حلفاً للروم .

غير أنه لم يحقق شيئاً في الثأر إلى أن توفي بين ٥٣٠ – ٥٤٠م .

وقد غلب الحزن على شعره عامة بعد موت أبيه .

الـنـص :

(١) وليلٍ كـموج البحـر أرخَى سُدولَهُ　　عـليَّ بـأنْـواعِ الهـمـوم ليَـبْـتَـلـي

(٢) فـقلتُ لـه لـما تمطَّى بصُلْبِـه　　وأردفَ أعْـجـازاً ونَـاْءَ بـكَـلْـكـلِ

(٣) ألاَ أيُّهـا الليلُ الطويلُ ألاَ انْجَـلِ　　بصـبح ومـا الإصـبـاحُ منكَ بأمْـثَـلِ

(٤) وقـد أغْـتَـدِيْ والطيـرُ في وُكُناتِها　　بمُنْجَـرِدٍ قـيـدِ الأوابدِ هَيْكَـلِ

(٥) مكَرٍّ مِـفَـرٍّ مُقْبِـلٍ مُدبِـرٍ معـاً　　كـجُلْمـودِ صـخـرٍ حطَّهُ السَّيلُ من عَلِ

(٦) يُزلُّ الغـلامَ الخِفَّ عن صَـهَـواتِـهِ　　ويُلـوي بأثوابِ العنيفِ المُثَـقَّـلِ

(١) اسطانبول الآن .

(٧) دَرِيْرٍ كُخذْرُوْفِ الوليدِ أَمَــــرَّهُ تتابعُ كَفَّيْهِ بخيطٍ مُوصَّـــلِ
(٨) له أيْطَلا ظبيٍ وساقا نَعامَـــةٍ وإرخاءُ سَرَحانٍ وتقريبُ تَتْفُـــلِ

معاني المفردات والتراكيب اللغوية :

السُدُول : الأستار ، **تمطّى** : تمدَّد ، **صُلبه** : ظهره ، **أردف** : أتبع ، **الأعْجاز** : جمع عُجْز وهو المؤخرة ، **كلكل** : صدر ، **انجل** : انكشف ، **أغتدي** : أذهب (أسرح) ، **الوُكُنات** : الأعشاش ، **المنجرد** : الحصان القصير الشعر ، **قيد الأوابد** : حصان يقيد الوحوش بسرعته ، **هيكل** : ضخم ، **مكر مفر** : سريع الهجوم والتراجع ، **جُلمود** : حجر ضخم صلب ، **حطّه** : ألقاه ، **درير** : كثير الجري ، **الخذروف** : **لعبة** من لعب الأطفال ، **أيطلا** : خاصرتا ، **السَّرْحَان** : الذئب ، **التَتْفُل** : ولد الثعلَب .

إضـــــاءة :

يقول الشاعر :

رب ليل يشبه أمواج البحر، في هيجانه وشدة رعبه، قد أرخى ستور ظلامه مع أنواع الأحزان والهموم ليختبر صبري على الشدائد .

فقلت لهذا الليل لما ازداد وأفرط طوله كما لو كان كائناً ضخماً جثم عليَّ بصدره ومؤخرته والمسافة الممتدة بينهما : ارحل لينكشف وجه النهار بصبح يقلل معاناتي ، رغم أن همومي متمكنة لا أظن أنها ستفارقني ، حتى بعد رحيلك .

وقد أخرج مبكراً قبل حركة الطيور وشقشقتها على جواد سريع ، قصير الشعر ، مقيد للوحوش في سرعته ، ضخم الهيئة . وهذا الجواد يكر ويهاجم ، يتراجع ويفر إذا أردت منه ذلك ، يتقدم ويتأخر بسرعة فائقة بحيث لايفرق الرائي بين تقدمه وتأخره لقوته وسرعته . وهو في سرعة مروره وصلابته كصخرة منحدرة من مكان شاهق لايكاد الرائي يميز وجهها من ظهرها .

ينزلق الغلام الخفيف عن ظهر الجواد لشدة سرعته ، أما الثقيل على ظهره وصهوته فإن أثوابه تطير مع الريح من شدة سرعة الجواد أيضاً .وسرعته في العدو والجري مثل خذروف الصبي الذي لفّ الخيط في كفّيه . خاصرتا هذا الجواد كخاصرتي ظبي في الضمور ، وساقاه كساقي نعامة في الانتصاب والطول ، وهو يعدو كعدو الذئب حين يكون متراخياً ، أما عندما يضع رجليه مكان يديه في العدو فإنه يشبه الثعلب .

تحليل وتذوق

سبق أن قلنا إن الشاعر قضى زمناً يعمل على الثأر لأبيه بعد حياة الدعة واللهو. ومعنى هذا أن حياة الشاعر قد انقلبت إلى النقيض . وليس مستبعداً أن تكون همومه في الأبيات الثلاثة الأولى لها علاقة بشطر حياته المليء بالمتاعب والنوائب .

لاحظ التشبيه « كموج البحر » أي أن الليل لاينتهي ، وأن الهموم تتابعُ على الشاعر بأنواعها .. همٌّ بعدَهمٍّ . ولقسوة هذا الليل المليء بالهموم صوره بكائن أوحيوان ، وهذا التعبير استعارة مكنية . فهذا الحيوان الضخم يجثم ويتمطى فوقه بصدره وأردافه وظهره . وقول الشاعر : « ألا أيها الليل » أسلوب نداء غرضه التمني بانجلاء هذا الليل ، والأداة « ألا » – قبل أسلوب النداء – تدل على شكوى الشاعر المريرة من معاناته تلك . هذا إلى جانب التصوير الذي جعل به الليل يسمع ويتقبل ، وهذا التعبير استعارة مكنية أيضا .

والجميل في البيت الثالث الاستدراك « وما الإصباح منك بأمثل » مما يدل على كثرة هموم الشاعر الذي ما إن ينادي – متمنياً – بذهاب الليل حتى يتذكر بأن همومه أكبر من أن تتبدّد أو تتخفّف في النهار .

بعد هذه الأبيات الثلاثة عن الليل وهموم الشاعر تأتي الأبيات الخمسة عن الجواد ، ففي مثل هذه البيئة العربية الصحراوية يكون للمَطِيَّة مكانة كبيرة .

يقول الشاعر في البيت الرابع : قد أنطلق في الصباح الباكر قبل خروج الطيور منْ أعشاشها .

و « قد » هنا حرف يفيد التكثير ، أي كثيراً ما أخرج باكراً بجواد قصير الشعر، يقيد الوحوش بسرعته . وهذا التعبير ينطوي على تشبيه سرعة الجواد بالقيد . والخروج هنا – على الحصان – خروج للصيد ، الذي لا يجد مشقّة فيه ما دامت الوحوش لاتقوى على الفرار ، ولا تستطيعه أمام حصانه ، فما بالنا بالحيوانات الأخرى.

في البيت الخامس « مكر مفر ... » حسن تقسيم ، حيث يأتي الشاعر بأربعة ألفاظ كل اثنين يتضادان مع بعضهما . والقارئ يجد متعة في قراءة هذا الشطر « مكر مفر مقبل مدبر » ، ثم تصل متعة القارئ وإعجابه الذروة حين يختم بكلمة « معاً » ، فإلى جانب أنها ختام جميل لموسيقى الشطر فإنها تصور السرعة العالية للجواد حين يكون الإقبال والإدبار أو الكر والفر لايكادان يتميزان في حركته . ويزيد الشاعر من تصوير السرعة والقوة حين يختتم البيت بالتشبيه « كجلمود صخر حطّه السيل من عل » .

ويتواصل وصف المثال النادر ، حيث نراه من شدة سرعته لا يستطيع الراكب الخفيف أن يثبت على صهوته لسرعته وقوته وملاسة شعره القصير .

وعند حديثه عن كثرة حركة الحصان وعدوه يختار الشاعر الخذروف [١] ليشبه الحصان به ، وهو تشبيه جميل ، فحركة الخذروف شديدة السرعة تستوقف الرائي .

ويختتم الشاعر وصف جواده في البيت الثامن بأربعة تشبيهات :

- خاصرتاه كخاصرتي الظبي ، والظبي أسرع الحيوانات بسبب ضمورهما .
- ساقاه ساقا نعامة ، والجواد الكريم عالي القائمتين الخلفيتين كي تساعداه على الوثب والاستطالة .
- وهو كالذئب في الحركة المسترخية ، وفي الوثب والاستطالة أيضاً .
- يضع رجليه مكان يديه كما لو كان بقائمتين فقط ، فيبدو كالثعلب ، وما أخفه ! .

(١) شيء كالصفيحة أو نواة المانجو ، يثقب ثقبين ، يمر عبرهما حبل موصل بالكفين . يُشد الحبل ويُرخى ليصدر صوتاً من سرعة التدوير .

أسئلة وتدريبات

١ – من هو أبو الشاعر ؟ ومن هي أمه ؟

٢ – أين كان أبوه ملكاً ؟ وعلى من ؟

٣ – لم سافر إلى القسطنطينية ؟

٤ – لم لقب بالملك الضِّلِّيل كما تظن ؟

٥ – اختر الإجابة الصحيحة من بين الأقواس فيما يأتي :

- معنى « عقر » : (ذَبَح ، سَخَّر ، وَهَب) .
- معنى « الخِدْر » : (الهودج ، الراحلة ، الخيمة) .
- معنى « أردف » : (أخلف ، أمتن ، أضاف) .
- مقابل « أَغتدي » : (أذهبُ ، أرحلُ ، أؤوبُ) .
- مفرد « وكنات » : (وكن ، وكنة ، كنة) .
- مقابل كلمة « انجلِ » : (شعّ ، ولِّ ، ابدُ) .
- كلمة « درير » تدل على (الفاعلية ، المفعولية ، المبالغة) .
- جاءت كلمة « ليل » للدلالة على : (كثرة الهموم ، كثرة الليالي، اليأس من الحياة) .

٦ – ما الخذروف ؟

٧ – ضع كلمة « الأمثل » في جملة من تعبيرك .

٨ – هات بديلاً لقوله : « قيد الأوابد » من تعبيرك .
ولقوله : « يزل الغلام الخف » من تعبيرك .

٩ – لمَ جعل الشاعر قصر شعر الجواد مفخرة ؟

١٠– ما العلاقة بين الخذروف والجواد ؟

١١– لمَ نقول : إن التعبير « أرخى سدوله » استعارة ؟

١٢– قد تبدو النعامة دميمة ، فكيف يشبه الشاعر ساقي الجواد بساقيها ؟

١٣– ماذا نسمي تعبير الشاعر « تمطى بصلبه » ؟

١٤– قد تعني كلمة « الوليد » حديث الولادة ، فهل جاءت لدى امرئ القيس كذلك ؟

١٥ – كم تشبيهاً في الأبيات ؟

١٦ – أي البيتين التاليين من معلقة امرئ القيس :

- **ألا ربَّ يومٍ لي من البيض صالـــحٍ ولاسيما يوماً بدارة جُلجـــــــــلِ**
- **إذا ماتأملتَ الزمانَ وصرفـــــــهُ تيقنتَ أنَّ الموتَ ضربٌ من القتـــلِ ؟**

فلسفة ذاتية

طَرَفَة بن العبد

التعريف بالشاعر

اسمه عمرو بن عبد بن سفيان البكري ، « وطَرَفَة » لَقَبٌ له . كان من قوم ينزلون البحرين . نشأ يتيماً ، فأهمله أعمامه ، لذلك عاش ميالاً للدعة والتبطل واللهو .

يقال : إنه ذهب مع خاله « المُتلمِّس » يْنشُدان فضلَ ملك الحيْرة عمرو بن هند ، وكان يحقد عليهما ، فأعطى كلاً منهما كتاباً بالعطاء لعامله في البحرين . وفي الطريق فضّ المُتلمِّس كتابه ، ورماه بعد أن عرف فيه أمر قتله . أما طرفة فقد أبى أن يسلك مسلك خاله ، ووصل إلى عامل البحرين ، فقتله وعمره ست وعشرون سنة .

طرفة شاعر مقل لكنه وصل إلى مستوى الجودة وهوشاب . لذلك تأتي معلقته الثانية بعد معلقة امرئ القيس في كثير من المصنفات .

وقد اشتهر طرفة بوصف الناقة في معلقته . ومما قال في ذلك :

وإني لأقضي الهمَّ عند احتضاره بعوجاء[1] مر قال[2] تروح وتغتدي

والنص الآتي، الذي اختير من معلقته يبيّن صفحة من حياته، ومستوى الجودة الذي وصل إليه.

النـص :

(١) ومـازالَ تَشْـرَابي الخمـورَ ولَذَّتي ... وبَيـعي وإنْفَـاقي طريفي ومُـتْلَدي

(٢) إلى أنْ تحَامَتني العشيـرةُ كلُّها ... وأُفْـرِدْتُ إفـرادَ البَعـيـرِ المعبَّـد

(٣) رأيتُ بني غَبـراءَ لايُنكر ونني ... ولا أهلُ هذاكَ الطِّراف المُمَــدَّد

(٤) كـريمٌ يرويِّ نفسَـهُ في حيـاته ... سـتعلمُ إنْ مـتْنَا غـداً أينُّا الصَّـدي

(٥) أرى قـبـرَ نَحَّـامٍ بَخـيلٍ بماله ... كـقـبـر غَـويٍّ في البطالة مُـفْسد

(٦) أرى الموتَ يعتامُ الكرامَ ويصطفي ... عـقـيلةَ مـال الفـاحش المُتَشَـدِّد

(٧) أرى العيـشَ كنزاً ناقصـاً كلَّ ليلة ... ومـاتنقص الأيامُ والدهرُ يَنْفَـد

(٨) لعـمُركَ إنَّ الموتَ مـا أخطأَ الفَـتَى ... لكالطِّوَلِ المُرْخى وثِنْيـاهُ باليـد

(١) ناقة عظيمة (٢) سريعة .

معاني المفردات والتراكيب اللغوية :

الطَّريف : المال الحديث ، **المُتْلَد :** المال القديم ، **المعبَّد :** البعير المطلي بالقار ، **الغبراء :** صفة الأرض ، **لا ينكرونني** : لايتجنبونني ، **الطِّراف :** البيت من الأَدَم ، **الممّدد :** الكبير (كناية عن عِظمَه) ، **الصَّدي :** العطشان ، **النحَّام :** الحريص على جمع المال ، **الغَويّ :** الضال ، **البِطالة :** اتباع الهوى ، **يعتام :** يختار ، **العقيلة :** الكريم من المال والنساء ، **الطِّوَل :** الحبل الذي يطول للدابة كي ترعى ، **الثِنْي :** الطَرف .

إضـــــاءة :

في رأيه وطريقته في الحياة يقول الشاعر طرفة :

لم أزل أشرب الخمرة ، وأبيع ما أملك من مالي المكتسب والموروث ، فتجنبتني عشيرتي ، وأصبحت كالبعير الأجرب المطلي بالقطران ، وذلك عندما رأت أنني لا أكف عن إتلاف المال في الملذات .

ولكن إن هجرني أقربائي فقد وجدتُ الأباعد من الفقراء يحبون صحبتي لفضلي وإِحساني ، ووجدت الأغنياء (أهل الطِّراف) يحبون صحبتي لعلمي ومعرفتي .

إِنني كريم أروي عطشي من ملذات الحياة ، أما أنت – يا لائمي – فستموتُ عطشان محروماً . ولا فرق بعد الموت بين قبر الكريم غير المبالي ، وقبر من يبخل على نفسه ، ويحرص على المال . فالموت لايتركُ أحداً ، يعم الأجواد والبخلاء، فيصطفي الكرام وكرائم أموال البخلاء .. أي الثمين من هذه الأموال ،فلم الحرص ؟

لابد من نهاية لكل شيء وحياتنا كالكنز الذي يتناقص بانتظام . أقسم بحياتك – أيها المخاطب – أن الموت مهما يغفل عن الإنسان فإنه لن ينساه ، فما هو إِلاكحبل دابة ترعى ، وطرف هذا الحبل في يد صاحبها يجره متى شاء .

تحليل وتذوق

في هذه الأبيات يضع طرفة مذهبه ورأيه في الحياة ، حيث يبدأ بذكر معاقرة الخمر سعياً وراء الرغبة وهوى النفس ، غير مبال بمشاعر القرابة والجيرة . فهو على

استعداد أن يستعيض عنهم بأناس لايرفضون مسلكه .

ورأيه يتلخص في أن نهاية الإنسان محتومة بالموت ، لذلك فليشبع مما في الحياة قبل أن يموت محروماً ، فالإنسان والمال وكل شيء – سوى الله – إلى الفناء . ويبدو أن الشاعر – مع الكثير من الجاهليين – ممن يظن أنْ ليس بعد الموت حياة أخرى .

وشعر طرفة يتسم بغريب الألفاظ كونه نابعاً من بيئته البدوية ، نلاحظ ذلك في الألفاظ : عَوجاء ، مِرقال ، المعبَّد، الطِّراف .

وإذا اقتربنا من الأبيات يمكننا الوقوف على الآتي :

- في البيت الأول حذف ، حيث إن أصل الكلام : مازال تشرابي الخمور وبيعي الطريف والمتلد هو سلوكي ومذهبي (خبر مازال محذوف) .
- يشبه في البيت الثاني نفسه بعد نبذ العشيرة له ، وابتعادها عنه بالبعير المطلي بالقار ، وهو تشبيه جميل يقرب بين داء الإفراط في اللهو والجرب .
- جاء تعبير « بني غبراء » كناية عن الفقراء ، وجاءت كلمة المُمَدَّد كناية عن الأغنياء .

بعد هذا يبدأ عرض رأيه في الحياة – كما أسلفنا – حيث يخاطب البخيل ، ولكن الخطاب للناس ، وفلسفة الشاعر هنا أن كلا منهما – هو والبخيل – لن تكون لديهما إمكانية البرهنة على صحة رأي الآخر .

- في البيت السابع جاء التشبيه « أرى العيش كنزاً ناقصاً » موفقاً يدعم رأيه في أن الحياة فرصة سانحة لا بد من أن يشبع منها ، فهو في سباق مع الموت .

ويختتم الأبيات بالقسم الدال على حتمية الموت والفناء ولكي يقرِّب هذا المعنى يشبّه الموت بحبل الحيوان الذي يشعر بأنه يتحرك مادام مرخياً ، لكن طرفه بيد صاحبه متى شاء جرَّه وشده إليه .

أسئلة وتدريبات

١ – كيف نشأ طرفة ؟

٢ – كيف كان موته ؟

٣ – ما العلاقة بين « تحامتني ،أفردتُ» ؟

٤ – لم شبّه نفسَه بالبعير المطلي بالقار ؟

٥ – في البيت الثالث تضاد وضّحه .

٦ – ما العلاقة بين الفعلين « تحامتني ، ينكرونني » ؟

٧ – ماذا يعني تشابه قبري الكريم والبخيل في البيت الخامس ؟

٨ – لَم ذكر موت الكريم وموت مال البخيل في البيت السادس ؟

٩ – ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخطأ فيمايأتي :

- قُتل طرفة بمكيدة من عمرو بن هند وخاله المتلمِّس. ( )
- لم يفتح طرفة الكتاب ثقة بأن فيه أمراً له بالعطاء. ( )
- البِطالة اتباع الهوى والبَطالة قلة فرص العمل. ( )
- جاءت كلمتا « بيعي وإنفا قي » بترتيب منطقي. ( )
- جاء الفعل « يعتام» مرتبك المعنى. ( )
- تعكس الأبيات شخصية الزاهد في الحياة. ( )

١٠– ما الجمال في التشبية « أرى العيش كنزاً ...» ؟

١١– هل أسلوب القسم في البيت الثامن شائع الآن ؟ ولم ؟

١٢– وضح التشبيه في البيت الثامن .

١٣– لمَ جاءت كلمة الخمور منصوبة في البيت الأول؟

١٤– مانوع المشتق في الكلمتين « نحّام ، المرخي » ؟

١٥– وضح البيتين التاليين ، وبين العلاقة بينهما :

- **أرَى العيشَ كنزاً ناقصاً كلَّ ليلـــةٍ وماتَنْقُصِ الأيامُ والدهرُ يَنْفَــدِ**
- **العُمْرُ مثـــــلُ الضيـــــــفِ أو كالطيفِ ليس لـــه إقامــــــة**

شجاعة وإقدام

عنترة

التعريف بالشاعر

عنترة بن شداد من بني عبس إحدى قبائل نجد ، وهم أبناء عم بني ذُبيان . أمه جارية حبشية تدعى « زبيبة » . أحب ابنة عمه (عبلة) ، وقال فيها في معلقته :

ولقد ذكرتُك والرِّمَاحُ نواهلٌ　　منّي وبيضُ الهندِ تَقْطُر من دمــي
فوددتُ تقبيلَ السيوف لأنّها　　لمعتْ كبارق ثَغْرك المتُبَسِّــــــــم

ولكن عـمـه (مالكاً) رفضَ تزويجها إياه لسواد لَونه ، إلا أنه غـيّر نظرتهم إليه بشجاعته ونبل أخلاقه .

كان لعنترة أيام مـشـهـودات ضـد المغـيرين على بـني عبس ، وفي حـرب داحس والغبراء » ويوم ذي قار عام ٦٠٠م .

سقط عنترة قتيلاً عام ٦١٤م في معركة خاضها العبسيون ضد بني طيِّئ . ولقد اشتهر بشعر الحماسة والغزل ، يقول في الغزل :

رمت الفــــؤادَ مليـــحـــــةٌ عــذراءُ　　بســـــهــــام لحظٍ مـــالَهُـــنَّ دواءُ
مــرَّتْ أوانَ العـــــيـــــد بين نَواهـــد　　مـــثل الشُّـــمـــوس لحــاظُهن ظبــاءُ
فــاغـتــالني سَـقَـمي الذي في باطني　　أخـــفـــيــتُــه فـــأذاعَــهُ الإخــفــاءُ

والنص التالي من معلقته السابقة الذكر .

الــنــص :

(١) هلاَّ سـألت الخيـلَ يا ابنةَ مـالــكٍ　　إن كنت جــاهـلةً بما لم تعلمـــــي
(٢) إذْ لا أزالُ على رحَــالـــةِ ســابـحٍ　　نَـهْـدٍ تَعَــاوَرَهُ الكُمـــاةُ مُكلَّـــم
(٣) طوراً يـجـــرَّدُ للطِّعـــان وتـــارةً　　يأوي إلى حَـصـد القـسيِّ عَـرَمْـرَمِ
(٤) يُخبـرْكِ مَنْ شَهِد الوَقيعةَ أنّني　　أغــــشى الوغَى وأَعِفُّ عند المَغْنَم
(٥) ومُـدَجَّجٍ كَـرِه الكمـاةُ نِزَالَـهُ　　لا مُـمْـعنٍ هَرَباً ولا مُـسـتـسلـــــمِ

(٦) جادتْ لــه كفِّي بعــاجـل طـعـنــةٍ بمُـثَـقَّفٍ صَدْقِ الكُعُوب مقــــوَّمِ
(٧) فَــشَككتُ بـالـرُّمحِ الأَصـمِّ ثيــابَــهُ ليس الكريمُ على القَنَا بمُحـــــرَّمِ
(٨) فـتـركـتُـهُ جَـزَرَ السبـاعِ يَنُشْنَــــهُ يَقْـضِـمْنَ حُـسْنَ بَنَانِهِ والمِعْـصَــــمِ

معاني المفردات والتراكيب اللغوية :

رحالة : سرج ، **سابح** : حصان سريع كأنه يسبح ، **نَهْد** : مرتفع الجنبين ، **تَعَاوَرَ**: تناوب ، **الكُماة** : الأبطال ، **مكلَّم** : مجرَّح ، **الطَّوْرُ والتارة** : كل منهما تعني المرّة ، **الحَصْد** : المحْكَم ، **عَرَمْرَم** : كثير ، **أغشى** : أحضر ، **الوقيعة** : الحرب، **الوَغَى** : الحرب وأصواتها ، **أَعفُّ** : أترفع ، **مُدَجَّجٍ** : تام السلاح ، **كَرِه** : خاف ، **نزَال** : مبارزة ، **لا ممعن هرباً** : لايفر ، **مثقَّف** : رمح مقَّوم مستو ، **صدْق**: صلب ، **الكُعُوب** : عُقَد الرمح ، **شككتُ** : ثقبتُ بانتظام ، **الأَصَم** : المصمت الصلب ، **القَنَا** : الرِّماح ، **جزر** : جمع جزرة وهي الشاة المذبوحة ، **ينُشنَه** : يتناولنه بالأكل ، **قَضَم** : أكَل بمقدَّم الفم .

إضــــاءة :

يقول الشاعر في الأبيات الأربعة الأولى مخاطباً ابنة عمه عبلة : سلي الخيل والفرسان عن حالي إن كنت جاهلة بها . فأنا ما أزال على سرج فرس سريع سابح ضخم مرتفع الجنبين ، يجرحه الأبطال هنا وهناك من كثرة انتقالاته . مرة أوجه هذا الفرس فينطلق لطعن الأعداء وضربهم ، ومرة أندفع به إلى رُماة السهام.

يخبرك الفرسان ، وحتى الخيل تستطيع إخبارك بأنني كريم عالي الهمة ، أُقْدِم على الحرب ، وعند الغنيمة أعفُّ وأترفعُ ، فلا يهمني المكسب المادي .

ويقول في الأبيات الأربعة الأخرى :

رب رجل مكتمل العدة والسلاح ، تكره الأبطال مبارزته وقتاله لأنه باسل شجاع لايهرب ، ولا يستسلم أو يستكين . هذا المسلح العنيد سبقتْ وامتدت يدي له بطعنة رمح صلب ، طعنته طعنة أنفذت الرمح في جسده وثيابه ، فالرماح تحب – أيضاً – الشجعان الكرام ، وليست أجسادهم محرّمة عليها . وتركته كشاة ذبيحة ، تأكل السِّباع بمُقدَّم أسنانها أصابعه ومعصمه الرطب .

تحليل وتذوق

يبدأ الشاعر الأبيات بالأداة « هلاّ » التي تفيد الحضّ ، وذلك ليعيد إلى ذهن ابنة عمه ماقدتناست من شجاعته . والتعبير « هلاّ سألت الخيل » استعارة مكنية حيث جعل الخيل تُسأل كالإنسان ، كما أن في هذا التعبير الاستعاري معنى خفياً إذ المقصود أن شجاعته معروفة حتى لغير الناس وخصوصاً الخيول التي هي من أهم وسائل القتال . وقد يعني بسؤال الخيل سؤال الفرسان .

وعندما يقول : « إذ لا أزال على رحالة سابح » فإن هذا القول يوحي أن جلوسه كثير ومستمر على سرج الحصان ، فالكلمة « إذ » ظرفية والفعل الناسخ بعدها مضارع يفيد الاستمرار . ولا يفصل الشاعر بين شجاعته وصفات حصانه السريع المرتفع الجنبين ، الذي لا يأبه بالجراح مندفعاً من مكان إلى مكان فالإنسان الشجاع لابد أن يكون جواده لائقاً .

ويجمع الشاعر في البيت الرابع صفتين هما الإقدام والعفاف ، تبدوان – في الصياغة اللفظية – متقابلتين ، لكنهما في الشمائل الإنسانية مترادفتان ، لأن الشجاع المقدام كريم النفس لا يكون متهافتاً على المغنم . واستخدام اللفظ « أَعِفُّ » يرفع من مكانة عنترة لأن العِفَّة توحي بالسمو والطهر الإنساني .

لاحظ أن هذا البيت جواب لما جاء في البيت الأول ، والفعل « يخبرك » مجزوم جواباً للطلب « هلا سألت » .

بعد ذلك تأتي الأبيات الأربعة الأخرى أشبه بقصة ، إذ يصّور خصما بطلاً شجاعاً مستكمل العدة من السلاح تأتي نهايته على يده (يد عنترة) .

لاحظ ميل الشاعر إلى بعض التفصيل حين يقول عن الرمح بأنه صلب في حديدته ، صلب في عُقَد عوده و مستو ومقوَّم . و في بداية البيت اختار الشاعر « جادت » بدلاً من امتدت وتحركت ، ولاشك أن هناك فرقاً فكلمة « جادت » تنطوي على تهكم أوسخرية جميلة كما لو كانت القوة ضد الخصم وسحقه كرماً .

– في البيت السابع يقع الفعل « شككت » موقعاً خاصاً في نفس القارئ ، يصعب الإتيان بأنسب منه لما فيه من إيحاء بنفاذ الرمح الذي لاحياة بعده . وهذا مجاز

مرسل علاقته المجاورة حيث ذكر الثياب ، وأراد ماتحت الثياب . وفي قوله « ليس الكريم على القنا بمحرم » تعبير فيه تهكم أو سخرية جميلة أيضاً من حيث أن الكريم الشجاع – في الأصل – لايُقتل كالجبان ، لكن ذلك يحدث وليس محرَّماً على الرمح . وذكر التحريم على الرمح فيه تشخيص ، حيث جعل الرمح شخصا يدرك ماهو غير محرم فيؤديه ويُتمُّهُ .

– وفي البيت الأخير شبه البطل القتيل بشاة ذبيحة . وجاءت كلمة « ينشنه » على درجة عالية من الرشاقة والملاحة لاتقل جمالاً عن تعبير الشاعر « يقضمن حسن بنانه » والقضم كناية عن طراوة أطراف القتيل .

أسئلة وتدريبات

١ – من هم بنو عبس ؟

٢ – بم اشتهر عنترة في شعره ؟

٣ – كيف غيّر عنترة نظرة قومه إليه ؟

٤ – ما العلاقة بين الفعلين « أَغْشَى ، أَعِفُّ »؟

٥ – ما مفرد « الكماة ، السَّباع » ؟

٦ – اختر الإجابات الصحيحة من بين الأقواس فيمايأتي :

- ضد « أَعفُّ » : (أتهالكُ ، أعلو ، أتثاقلُ) .
- معنى « تعاور » : (تبادل ، تناظر ، تناوب) .
- ضد « نَهْد » : (شهْد ، وهْد ، رهْد) .
- تأتي « يغشى » بمعنى : (يَزُور ، يُجافي ، يتأكد) .
- الكلمة الأقرب إلى « شككتُ » : (جرحت ، صففت ، طردت) .
- « يجرَّد للطعان » : (يتهيأله ، ينسحب منه ، يُدفع من أجله) .
- يعكس البيت الثامن : (قسوة الحرب ، كراهية الخصومة ، ضرورة القتال) .

٧ – كيف يحضّ والد ولده على المذاكرة ؟

٨ – كيف تكون عبلة جاهلة بشجاعة عنترة ؟

٩ – تشبيه نظرة العين بالسهم قديم ومتكرر ، فما الجمال فيه ؟

١٠– ما الذي يجمع بين الإمعان في الهرب والاستسلام ؟

١١– مانوع المشتق في الكلمتين «الوقيعة ، مستسلم » ؟

١٢– لمَ اكتفى الشاعر بالقول « شككت بالرمح ثيابه » ، وهو يعني القضاء عليه؟

١٣– ما الظلم الذي عاناه عنترة من الناس ، ومن عمه تحديداً ؟ وما الأسباب ؟

١٤– « إن كنتِ جاهلة بمالم تعلمي» . أين جواب الشرط في الجملة ؟

١٥– قد يشعر القارئ بألم وتقزز إزاء معنى القول : « يقضمن حسن بنانه والمعصم »، رغم جمال الصورة الفنية . وضح ذلك .

١٦– اشرح الأبيات الثلاثة الآتية ، ثم وضح المعاني المشتركة فيها :

- **الخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرفنُي   والسيفُ والرمُح والقرطاسُ والقلمُ**
- **هلا سألت الخيلَ يا ابنةَ مالك   إن كنتِ جاهلةً بما لـــــم تعلمـــي**
- **تُسائلني من أنتَ وهي عليمـةٌ   وهل بفتىً مثلي على حالهِ نُكْــــرُ**

صلح وسلم

زهير بن أبي سلمى

التعريف بالشاعر

ولد زهير نحو ٥٢٠م في الحاجر (جنوب الرياض الآن) ، أصله من مُزَينة. نشأ يتيماً في بلاد أخواله. تزوجت أمه الشاعر أوس بن حجر الذي عني به وجعله راوية له .

كان زهير كثير التنقيح لشعره ، وسميت قصائده بالحوليات لأنه كان يُعنى بتنقيحها وتهذيبها حولاً كاملاً .

اشتهر بالحكمة ، ومما قال :

ومن يغترب يحسب عدواً صديقهُ ... ومن لم يكرِّم نفسه لم يكـرمِ
لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فـؤادُهُ ... فلم يبق إلا صورةُ اللحم والدمِ

قال عنه عمر بن الخطاب : « كان زهير لا يعاظل في الكلام (أي لا يعقده)، ولم يمدح أحداً إلا بما فيه »

ومعلقته التي منها النص التالي قالها إكباراً وإعجاباً بالحارث بن عوف وهرم بن سنان سيدي بني مُرة اللذين سعيا في الصلح بين عبس وذبيان بعد أن نشبت حرب داحس والغبراء [١] بينهما ، فتحملا ديات القتلى التي بلغت ثلاثة آلاف بعير . وفي الوقت نفسه يشنع الشاعر بالحرب وما تجره من ويلات .

النـص :

(١) فأقسمتُ بالبيت الذي طافَ حوله ... رجال بَنَوْه من قريش وجُرْهُـم
(٢) يميناً لنعم السيدان وُجدتمـا ... على كل حال من سَحيلٍ ومُبـرَمِ
(٣) تداركتما عبساً وذُبيانَ بعدمـا ... تفانوا ودَقُّوا بينهم عِطر مَنْشـم
(٤) وقد قلتما إن ندرك السلمَ واسعـاً ... بمالٍ ومعروف من القول نسلـمِ
(٥) فأصبحتما منها على خيرِ موطـن ... بعيدين فيها من عُقوق ومأثـم
(٦) وما الحربُ إلا ما علمتم وذقتـمُ ... وما هو عنها بالحديث المُرجَّـمِ

(١) اسمان لفرسين

(٧) متى تبعثوها تبعثوها دميمـــــةً وتَضْرَ إذا ضَرَّيتُموها فَتَضْـرَمِ

(٨) فتعركْكُمُ عركَ الرحى بِثِفَالِهــا وتلقحْ كِشافاً ثم تُنْتِجْ فَتُتْئِـمِ

معاني المفردات والتراكيب اللغوية :

البيت : الكعبة ، **جرهم** : قبيلة يمنية سكنت مكة ، **سحيل** : الخيط المفرد دلالة على الضعف ، **مبرم** : خيط مبروم من اثنين فأكثر دلالة على القوة ، **تفانوا** : تقاتلوا وأفنى بعضهم بعضاً ، **مَنْشِم** : امرأة عطارة يشترون منها العطر ، **العقوق** : العصيان، **مأثم** : إثم ، **الذوق** : التجربة ، **المرجم** : الذي يرجم فيه بالظنون ، **تضرى** : تشتد نارها ، **الثفال** : جلد أو خرقة تبسط تحت الرحى عند الطحن ، **تلقح** : تحمل أو تحبل، **كشافاً** : مرتين بدلاً من مرة ، **تتئم** : تلد اثنين .

إضـــــاءة :

يقول الشاعر زهير بن أبي سلمى :

حلفت بالكعبة التي طاف حولها بُناتُها قريش وجرهم . وجرهم هي القبيلة القديمة اليمنية التي تزوج منهم إسماعيل عليه السلام وكانوا ولاة على الكعبة ، ثم خزاعة ، ثم آلت الولاية إلى قريش .

أقسم أنكما سيدان تستحقان المدح والثناء ، أنتما « هرم بن سنان والحارث بن عوف » في كل الأحوال : الشديدة والهينة (على كل حال من سحيل ومبرم) .

أوقفتما قبيلتي عبس وذبيان بعدما أفنى القتال رجالهما ، وأكثروا من شراء عطر « منشم » ، وهي امرأة عطارة اشترى منها قوم جفنة من العطر وتحالفوا على قتال العدوّ وأيديهم مغموسة في هذا العطر فقتلوا عن آخرهم . لذلك تشاءم العرب بعطر منشم .

قلتما إن استطعنا إحلال السلام التام بين القبيلتين ببذل المال وإسداء المعروف سلمنا من هذا القتل والفنا ء . وبمعروفكما وبذلكما المال وإقرار الصلح أصبحتما بعيدين عن عصيان الأقارب وبعيدين عن الإثم بقطيعة الرحم .

وفي الأبيات الثلاثة الأخيرة يوجه الشاعر خطابه إلى المتخاصمين فيقول :

ليست الحرب إلا ما جربتموها من الدمار والموت . وما أقوله عنها تعرفونه ، وقدخبرتموه ومارستم كراهته ، وليست ظنوناً أو حديثاً بعيداً عن الواقع . متى تشعلوا

الحرب يذمكم الناس ، لأن الحرب مذمومة قبيحة ، إن أثيرت اشتعل نارها وتأجج (يتضمن البيت حثاً على التمسك بالصلح وتحذيراً من عاقبة الحرب ووبالها) .

ويردف فيقول :

الحرب تطحنكم كما تطحن الرحى الحب ، وتحبل مرتين في العام ، وفي كل ولادة اثنتين (أي أن صنوف الشر تتكاثر بسرعة) .

تحليل وتذوق

تتضمن الأبيات مدح الشاعر السيدين ، وحديثه عن الحرب ومآسيها وشرورها .

وإذا تأملنا البيتين (٢,١) وجدنا البيت الأول يعكس مكانة الكعبة المشرفة عند العرب في الجاهلية رغم وثنيتهم [١] فزهير يُكْبر من شأن السيدين المذكورين ، ولاشك أنه اختار شيئاً عظيماً ليُقسم به (البيت الحرام) . أما في البيت الثاني فيُظهر أن مكانة السيدين الكريمين هرم والحارث كبيرة في شخصهما فهما نبيلان في كل أحوال الشدة والضعف ، وهما أهل لمواجهة كل الظروف .

ونجد أن في البيت الثاني استعارتين في « سَحِيل ومُبْرم » حيث استعار « سحِيْل » لحالة الضعف ، واستعار « مُبْرم » لحالة الشدة ، وهما كنايتان عن الضعف والقوة .

ينتقل الشاعر في الأبيات الثالث والرابع والخامس بعد ذلك إلى ماعمله هذان السيدان ، وهو عمل كبير بكل المقاييس حيث إنهما أوقفا القتال بين القبيلتين بعد أن كادتا أن تفنيا . وكنّى بالجملة « دقّوابينهم عِطر مَنْشِم » عن الإصرار على القتال حتى آخر قطرة من دمائهم . وهذا يبرز عظمة السيدين وما قاما به .

لاحظ كلمة « واسعاً » فيها دلالة على تعميم السلام على أوسع من مستوى المُتحارِبين .

ويضطرد حديث الشاعر عن السيدين من أنهما أصبحا في أعلى مكانة بين قبائلهم بقوله « على خير موطن » .

وتظهر الأبيات : السادس والسابع والثامن نصائح تحذّر من ويلات الحرب التي

(١) كانوا يعبدون الأوثان (الأصنام) .

يجرّها الطيش والغضب ، وضياع العقل وسط حمية الشر . ولكي يُظهر فداحة هذه الويلات جاء بكلمة « دميمة » بما في هذا اللفظ من تنفير . والجملة « تبعثوها دميمة » صورة أدبية جميلة حيث استعار الدمامة لإبراز قبح الحرب . وإمعاناً في إبراز ضرر الحرب وانتشارها وقبح أثرها جعلها شرسة وعدوانية كالحيوان المفترس « تضرى » على سبيل الاستعارة المكنية .

وفي البيت صورة أخرى في كلمة « تضرم » ، حيث شبه الحرب بالنار كلما ازدادت اشتعالاً ازدادت ضراوة على سبيل الاستعارة .

لاحظ الوقع الحسن للجناس « تضرى – تضرم » .

ويختتم الشاعر الأبيات بالتشبيه الدال على بشاعة الحرب حين تطحن الناس كالمطحنة في الشطر الأول ، وبالاستعارة الدالة على تكاثر الشرحين جعل الحرب كدابة تلقح وتحبل وتلد في الشطر الثاني .

أسئلة وتدريبات

١ – أين ولد زهير ؟

٢ – مادور زوج أمه في التأثير على شاعريته ؟

٣ – لَم سُميت بعض قصائده بالحوليات ؟

٤ – بمَ اشتهر شعره ؟

٥ – فيم قيلت أبيات النص ؟

٦ – من قبيلة جُرهم ؟

٧ – ما المقصود بقوله : « على كل حال من سَحِيل ومُبرم» ؟

٨ – ما الفرق بين الفعلين « فنوا – تفانوا » ؟

٩ – ذَكَرَ عمر بن الخطاب جانباً نقدياً في شعر زهير . وضحه .

١٠– لم جمع الشاعر بين المال والمعروف في دعوة (هرم والحارث) للسلام في البيت(٤)؟

١١ – ماذا نفهم من قوله « دَقُّوا بينهم عِطر مَنْشِم» ؟

١٢- ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة ، وعلامة (X) أمام العبارة الخطأ فيما يأتي :

- « الراوية » قد تعني الناقد لأشعار الشاعر . ( )
- الطواف حول الكعبة عادة أصبحت بعد مجيء الإسلام شعيرة . ( )
- تبادلت قبيلتا قريش وجرهم الولاية حتى وقفت على الأخيرة . ( )
- يوحي الفعل « تدارك » بإسراع الحريص لتجنب التدهور . ( )
- في التعبير « تضرى وتضرم » استعارة من النار. ( )

١٣- ضع كلاً من الفعلين « يعاظل، يبعثون » في جملة توضح معناه .

١٤- أي الفعلين التاليين يمكن أن يحل محل « ندرك » دون أن يختل الوزن : نبارك، نفرض ؟

عـزة وإبـاء

عمرو بن كلثوم

التعريف بالشاعر

هو عـمـرو بن كلثـوم بن مـالك بـن عـتّاب ، مـن بني تغلب ، أحـد أصـحـاب المعلقات . ولد في شـمالي جزيرة العـرب في بلاد تغلب ، وتجول فـيـهـا وفي الشـام والعـراق ونجد . وهو من الفـرسـان الشـجـعـان ذوي الحـمـيـة ، وكـان من أعـز الناس نفسـاً. سـاد قومـه (تغلب) وهو فتى (زعموا ابن خـمس عشـرة سنة) ، وهو الذي قـتل الملك عـمـرو بن هـنـد . يقـال إن الملك عـمـرو بن هـنـد قال لبعـض خـاصـتـه : أتعلمون أحـداً من العرب تأنف أمه من خدمة أمي ؟ فقالوا : لا نعلمـهـا إلا ليلى أم عـمـرو بن كـلثـوم ، فإن أباها مـهـلهـل بن ربيـعـة ، وعـمـهـا كـلـيـب وائل ، وبعلهـا كلثوم بن عتّاب فارس العرب ، وابنها عمرو بن كلثوم سيد قومه . فأرسل عمرو بن هند إلى عـمـرو بن كلثـوم يستـزيره ويطلب منه أن يصـطحـب أمه لتـزور أم الملك ، فأقبل عـمـرو وأمه من الجزيرة في جـمـاعـة من تغلب ، وكـان الملك قد ضرب رَوْقه [1] بين الحـيـرة والـفـرات ، وأغـرى أمـه أن تسـتـخـدم ليلى بنت مـهـلـهـل في قـضـاء أمـر، فـلـمـا دخـلت عـليـهـا واطـمـأن بهـا المجلس قـالت لـهـا : ناوليني الطبق يـاليلى . فـأجـابتـهـا : لـتـقـم صـاحـبـة الحـاجـة إلى حـاجـتـهـا . فـلمـا ألـحّـت صـاحـت ليلى : واذلاه ! ، فـسـمـعـهـا ولـدهـا فـثـار بـه الغـضـب وقـتل الملك في مـجـلسـه . كـان ذلك عـام ٥٢ ق . هـ (٥٧٠م) ، في العـام الذي ولد فـيـه النبي مـحـمـد صلى الله عليه وسلـم ، ثـم عـاد ابن كلثـوم إلى الجزيرة فـأنشـد قـصـيدتـه المعلقـة ، اسـتـهلهـا بـذكـر الخـمـر والغـزل ، ثـم وصـف أمـره مع عـمـرو بن هـنـد ، وافـتـخـر بـنـفسـه وقـومـه. ولقـد تناقلتـهـا الألسنة وأكثر بنو تغلب من إنشـادهـا وروايتهـا حتى قال فيهم الشـاعر :

ألهى بني تغلب عن كل مَكرُمةٍ قصيدةٌ قالها عمرُو بنُ كُلثوم

وعـمرو بن كلثوم من المعـمرين ، ولعله أوفى على المائة ، وكانت وفاته في أواخر القرن السـادس الميـلادي . وهو شـاعر رائق الأسلـوب إلا أنه مقل ، وكل ماروي

---

(١) ضرب روقه : نزل بالمكان وضرب خيمته .

عنه معلقته وبعض مقطوعات لاتخرج عن موضوعها . وحوت المعلقة كثيراً من المبالغات كقوله :

إذا بلغ الفطامَ لنا صبيٌّ ... تخرُّ له الجبابرُ ساجدينا

وغير ذلك مما ستجده في الأبيات التي اخترناها .

النص :

(١) أبا هند فلا تَعْجَلْ علينا	**وأنظرْنا نُخَبِّرْك اليقينا**
(٢) بأنا نوردُ الرايات بيضاً	**ونُصدرُهنَّ حمراً قد رَوِينا**
(٣) بأيِّ مشيئةٍ عمرَو بن هند	**نكون لقَيِنكم فيها قطينا**
(٤) بأيَّ مشيئةٍ عمرَو بن هند	**تُطيعُ بنا الوشاةَ وتزدرينا**
(٥) تُهددُنا وتوعدُنا - رُوَيْداً	**متى كنا لأمِّك مُقْتَوِينا**
(٦) وإن قناتَنا ياعمرُو أعْيَت	**على الأعداءِ قبلك أن تلينا**
(٧) متى ننقلْ إلى قومٍ رَحانا	**يكونوا في اللقاءِ لها طحينا**
(٨) إذا ما المَلْكُ سامَ الناسَ خَسْفاً	**أبينا أن نُقِرَّ الخسفَ فينا**
(٩) ملأنا البرَّ حتى ضاق عَنّا	**وماءُ البحرِ نملؤه سَفِينا**

معاني المفردات والتراكيب اللغوية :

أنظرنا : أمهلنا ، **قينكم** : عبدكم ، **قطينا** : القطين الخدم والأتباع .
مقتوين : المقتوي الذي يخدم الناس بطعام بطنه ، **الخسف** : الذل والهوان .
سام الناس **خسفاً** : أهانهم وكلفهم المشقة .

إضاءة :

يخاطب الشاعر الملك عمرو بن هند فيقول له : لا تعجل ، وأمهلنا نخبرك من نكون فنحن نسير إلى أعدائنا براياتنا البيض ، ونعود بها حمراً قد ارتوت من دمائهم، كيف تشاء أن نكون خدماً لأحد عبيدك توليه أمرنا ؟ أي شئ دعاك إلى هذه المشيئة المحال ؟ كيف تشاء أن تطيع الوشاة وتحتقرنا ؟ فقد أكثرت من

تهديدنا ووعيدنا ، فمنذ متى كنا خدماً لأمك ؟ هل رأيت فينا ضعفاً أوذلاً ؟ إن عزمنا منيع ولم يستطع الأعداء من قبلك أن يلينونا أو يقهرونا ، فنحن إذا قاتلنا طحنا أعداءنا طحناً ، وإذا أكره الملك الناس على ما فيه ذلهم أبينا الانقياد والانصياع له . ومع قوة بأسنا فعددنا لايحصى حتى لتضيق بنا الأرض وحتى البحر تملؤه سفننا .

تحليل وتذوق

- في هذا النص يدافع الشاعر عن كرامته وكرامة قومه ، فيبدأ البيت الأول بأسلوب نداء (أبا هند) هكذا دون ألقاب ، غير معترف بسلطة الملك عليه وعلى قومه ، ثم يعقب ذلك بنهي (لاتعجل)وأمر (أنظرنا) ، والمراد بهما التهديد ، أما كلمة (اليقين) التي يختم بها البيت فتوحي بأن الملك يجهل قدرهم ، وأن معلوماته عنهم خاطئة ، إذا تصور أنهم ضعفاء .
- في البيت الثاني يخبر الشاعر بالخبر اليقين على حد قوله فيقول مفتخراً ببأس قومه : إن راياتهم البيضاء التي يذهبون بها إلى المعركة يعودون بها حمراء ، وفي هذا كناية عن كثرة الدماء التي سفكت ، ويعزز بالاستعارة المكنية ، وهي قوله (قد روينا) حيث جعل الرايات تشرب وترتوي .
- ويزيد الغضب بالشاعر في البيتين الثالث والرابع ، ويبدأ كلاً منهما بقوله: (بأي مشيئة عمرو بن هند) وهو استفهام يريد به الرفض ، والتعجب من استخفاف الملك بقومه ، ومن جهله ماهم فيه من قوة وعزة .
- أما في البيت الخامس ، فيقول للملك (رويداً) وهو اسم فعل أمر ، ويقصد به هنا التهديد ، ثم يقول : (متى كنا لأمك مقتوينا ؟!) وواضح أنه لايريد جواباً لهذا الاستفهام ، إنما أتى به للنفي والاستنكار !.
- في البيت السادس يقول الشاعر : إن قناتهم صلبة لاتلين ، والقناة الرمح، وذكرها هنا على عادة العرب إذ يستعيرون للعز اسم القناة .
- ويبالغ الشاعر في البيت السابع فيصور قوتهم في المعركة برحى تطحن الأعداء ويصور هؤلاء الأعداء طحيناً لها ، وكلتا الصورتين استعارة تصريحية .
- ويستمر في مبالغته فيذكر في البيت الأخير أن الأرض قد ضاقت بهم وببيوتهم والبحر بسفنهم ، وفي هذا كناية عن كثرة العدد ، فكأنه يقول : إننا لانفخر

بقوتنا وشجاعتنا فحسب ، بل بكثرتنا أيضاً ، فمهما كثرت جيوش أعدائنا فلا يمكن أن تزيد على عددنا ، فنحن الغالبون دوماً .

أسئلة وتدريبات

١ – ما الصفة التي عُرف بها عمرو بن كلثوم ؟

٢ – استمدت ليلى أم الشاعر عزتها من أهلها ، فمن هم ؟

٣ – ساد عمرو بن كلثوم قومه وهو فتى ، ماذا يعني ذلك ؟

٤ – لمَ يخاطب الشاعر الملك باسمه ؟

٥ – ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة ، وعلامة (X) أمام العبارة الخطأ :

– اشتهر كلثوم (أبو الشاعر) بالفروسية . ( )

– ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم في عام ٥٢ ق . هـ . ( )

– الشاعر عمرو بن كلثوم قتله الملك عمرو بن هند . ( )

– كان عمرو بن كلثوم شاعراً غزير الشعر . ( )

– تستخدم الرحى في طحن الحبوب . ( )

– (لين القناة) كناية عن الذل . ( )

٦ – ما سبب جزم المضارع في البيت الآتي :

متى ننقل إلى قوم رحانا يكونوا في اللقاء لها طحينا؟

٧ – وضح الكناية في البيت الثاني .

٨ – بالغ الشاعر في الاعتداد بقومه . اذكر ثلاثة أبيات تدل على ذلك ؟

٩ – لم ذكر الشاعر أم الملك في البيت الخامس .

١٠– عرف العرب في الجاهلية البحر والإبحار . في أي الأبيات تجد ذلك؟

١١– ما المراد من الاستفهام في البيت الثالث والرابع ؟

١٢– وضح الصورة في البيت السابع مبرزاً جوانبها الجمالية والفنية .

١٣– ما المراد بكلمة (رويدا) في البيت الخامس ؟

غــزل

الأعـشـى

التعريف بالشاعر

هو أبو بصـير مـيمـون بن قـيس بن جندل ، المعـروف بأعـشى قيس والأعـشى الكبيـر ، مولده ووفاته في قرية « منفوحة » باليـمامة قرب مدينة الرياض . غزير الشعـر وأحد أصحاب المعلقات العشر ، وكان لشعره جلبة في السمع، وروعة في النفس، وأثر في الناس ، فسمي « صناجة العرب » وقد قالوا قديماً : أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب ، والنابغة إذا رهب ، والأعشى إذا طرب .

عاش لاهياً يجوب الجزيرة بين حضرموت والحيرة ، وكان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس . ولقد أعز بشعره وأذل ، وقصته مع المحلق(1) وخوف القرشيين من إسلامه يدلان على ذلك . عاش طويلاً وأدرك الإسلام ، فأنشأ قصيدة في مدح الرسول ﷺ وعزم على الرحلة إليه بالحجاز ، فأوجس القرشيون خيفة من إسلامه ، فقال لهم أبو سفيان : والله لئن أتى محمداً أو اتبعه ليضرمن عليكم نيران العرب بشعره ، فاجمعوا له مائة من الإبل ،ففعلوا ، وأخذها الأعشى ورجع ، حتى إذا دنا من اليمامة سقط من فوق ناقته فدُقت عنقه ، في حوالي سنة ٦٢٩م (السابعة للهجرة) .

لقب بالأعشى لضعف بصره ، وعمى في أواخر عمره . جمع بعض شعره في ديوان ، وترجم المستشرق الألماني (جاير Geyer) بعض شعره إلى الألمانية .

الـنـص :

(١) ودِّعْ هُـرَيْرةَ إن الـركـبَ مـرتحـلُ ... وهـل تطـيقُ وداعـاً أيهـا الرجـلُ

(٢) غـرَّاءُ فـرعـاءُ مـصـقـولٌ عـوارضـهـا ... تمشي الهـويـنا كـمـا يمشي الوَجي الوَحِلُ

(٣) كـأن مـشْـيَـتـهـا من بيت جـارتهـا ... مَـشي السـحـابة لا ريثٌ ولا عَـجَـلُ

(٤) تسـمعُ للحُلْي وَسْواساً إذا انصرفت ... كـمـا اسـتـعـانَ بريحٍ عِـشـرِقٍ زجلُ

---

(١) المحلق رجل من مغموري العرب وفقرائهم ، كان أباً لثماني بنات عوانس لم يتقدم لخطبتهن أحد لمكانة أبيهن من الفقر ، فاقترحت عليه امرأته أن يضيف الأعشى عله يشيد بذكره في شعره ، فاستضافه ونحر له ناقة – على فقره – فمدحه الأعشى بقصيدة بليغة ، وأنشدها في عكاظ ، فلم يمض عام حتى لم تبق بنت مِن بناته إلا وهي زوج لسيد كريم .

(٥) إذا تقـومُ يضـوعُ المسك أصـورةً ... والـزنبـق الوردُ من أردانهـا شـمـلُ
(٦) ماروضـةٌ من رياض الحَزن معشبـةٌ ... خـضـراءُ جـاد عليهـا مسـبلٌ هَطِلُ
(٧) يضاحكُ الشمسَ منها كوكبٌ شرقٌ ... مـؤزرٌ بعـمـيم النبت مُكتـهـلُ
(٨) يومـاً بأطيبَ منهـا نشـر رائحـةٍ ... ولا بأحـسـنَ منهَـا إذدنا الأُصُلُ

معاني المفردات والتراكيب اللغوية :

الرَّكْب : رُكبان الإبل أو الخيل ، **غراء** : بيضاء واسعة الجبين ، **فرعاء** : طويلة الفرع وهو شعر الرأس ، **مصقول** : أملس ، **عوارضها** : جمع عارض وهو صفحة الخد، **الوجي** : الحافي رقيق القدم ، **الوَحِل** : المتلطخ بالوحل ، **الوسواس** : الصوت، **العشرق** : شجرة مقدار ذراع لها أكمام فيها حب صغار إذا جفت فمرت الريح تحرك الحب ، **زَجِلُ** : مُطرب ، **يضوع** : يفوح ، **أصورة** : جمع صوار وهي الرائحة الطيبة ، **الزنبق** : نبات زهرته من أجمل الأزهار تفوح منها رائحة ذكية ، **أردانها** : جمع رُدن وهو طرف الكم ، **شمل** : شامل ، **الحزن** : ماغلظ من الأرض ، **مسبل** : ماطر ، **الهطل** : المتتابع عظيم القطر ، **الأُصُل** : جمع أصيل وهو الوقت بين العصر والمغرب، **الكوكب** : نبات مستطيل ، **شرِق** : ريان ، **مؤزر** : لابس الإزار، **مكتهل** : تم طوله .

إضـاءة :

يجرد الشاعر من نفسه شخصاً ويخاطبه ، فيقول : ودِّع حبيبتَك هريرة ، فقد حان وقت رحيل الركب الذي ستسافر فيه ، ثم يتذكر أنه لايستطيع أن يحتمل لحظة الوداع، ويتذكرها ومحاسنها ، فيأخذ في وصفها مصوراً إياها مثالاً للجمال بمقاييس ذلك العصر ، فهي بيضاء طويلة الشعر ، ملساء الخدين ، تمشي بدلال كما يمشي الحافي في الوحل ، وإذا مشت من بيت جارتها مشت كالسحابة مشياً لا بالبطيء ولا بالسريع ، وإن تحركت سُمِعَ لحليها صوت مثل خشخشة حبات نبات العشرق إذا حركته الريح ، وإذا تقوم من مجلسها تتفاوح رائحة المسك والزنبق من أكمامها بل تشملها الرائحة كلها . وجمال هذه المحبوبة ورائحتها ليس لهما شبيه ، فإن روضة

معشبة خضراء وقد هطل عليها المطر الغزير وأشرقت عليها الشمس تضاحك نباتها ، روضة كهذه ليست أطيب رائحة من هريرة ، وحتى حين تبلغ هذه الروضة الغاية في الحسن والجمال بعد العصر ، فهي ليست أحسن منها منظراً .

تحليل وتذوق

يخاطب الأعشى نفسه فيقول : ودّع هريرة ، ثم يستدرك بالاستفهام الذي أرادبه النفي « وهل تطيق وداعاً ؟! » ومستخدماً النداء الذي يفيد الحزن والتحسر ، مجرداً من نفسه رجلاً آخر غيره مما يدل على الحيرة والتبلد ، في مقابل نفسه المتلهفة للوداع ورؤية من يحب ربما للمرة الأخيرة .

- ويبدأ في وصف هريرته من البيت الثاني ، فهي ممتلئة الجسم تمشي بدلال وهدوء ويشَبّه مشيتها بمشية الحافي رقيق القدمين يمشي على الوحل .
- وفي البيت الثالث يشبه مشيتها من بيت جارتها بمشي السحابة ، فهي لا تمشي كثيراً لتنعمها ، وإذا مشت انسابت انسياباً جميلاً ، فلا هو مشي بطيء ولا عجل.
- وفي البيت الرابع يشبه صوت حليها عند الانصراف بصوت حب العشرق المطرب إذا حركته الريح .
- ويطيل الوقوف عند صفة رائحة محبوبته الطيبة كما في البيت الخامس .
- وفي البيت السادس والسابع يرسم لنا صورة هذه الروضة المعشبة التي هطل عليها المطر ، ثم ظهرت عليها الشمس فأخذ النبات يضاحكها ، وفي هذا استعارة مكنية ، ويتبعها باستعارة مكنية أخرى ، حيث جعل ذلك النبات مؤزراً بنبات طويل يحفه .
- وفي البيت الأخير يعود فيقول إن هذه الروضة ليست أطيب رائحة من هريرة، وحتى منظر هذه الروضة إذا دناوقت الأصيل ، مهما كان سحره ، ليس أجمل من حبيبته .

أسئلة وتدريبات

١ – لمَ سمي الأعشى بهذا الاسم ؟

٢ – لمَ لُقِّب (صناجة العرب) ؟

٣ – علام تدل قصته مع المحلق ؟

٤ – ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (X) أمام العبارة الخطأ :

– الأعشى أحد أصحاب المعلقات السبع . ( ) .

– أدرك الأعشى الإسلام وأسلم . ( ) .

– مات الأعشى غرقاً في نهر الفرات . ( ) .

– الأعشى شاعر مُقِل . ( ) .

– كان الأعشى أعمى عندما مات . ( ) .

– (كوكب) في البيت السابع موقعه الإعرابي فاعل . ( ) .

٥ – وضح المقصود بالمقولة الآتية :

« أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب ، والنابغة إذا رهب ، والأعشى إذا طرب » .

٧ – اختر االإجابة المناسبة من بين الأقواس :

– البياض والبدانة وطيب الرائحة من ظواهر :

(اعتدال الجو – النعمة والترف – اهتمام النساء بالزينة) .

– المقصود بالاستفهام في البيت الأول :

(المعنى الحقيقي للاستفهام – النفي – التقرير) .

– عدم إسلام الأعشى يدل على :

(الكبر – الخوف – الطمع) .

٨ – مَن الرجل الذي يعنيه الشاعر في البيت الأول ؟

٩ – ما البيت الذي يوحي بأن هريرة كانت قليلة المشي ؟

١٠– بمَ يوحي قول الأعشى (تمشي الهوينا) ؟

١١– وضح القيمة الفنية للصورة التي في البيت الثالث .

١٢– ما الجمال في قوله : « يضاحك الشمس منها كوكب شرق » ؟

اعــتــذار

النابغة الذبياني

التعريف بالشاعر

هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني أبو أمامة . أحد فحول الشعراء الثلاثة الذين لايُشق غبارهم ، ولاتُلحق آثارهم ، وهم : امرؤ القيس ، والنابغة ، وزهير . قال الشعر بعد أن أربى على الأربعين فلقب بالنابغة .

كانت تضرب له قُبة من جلد أحمر بسوق عكاظ ،فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها ، منهم : الأعشى ، وحسان ، والخنساء .

والنابغة أحد وجهاء بني ذبيان ، وكان حظياً عند النعمان بن المنذر [1] إلى أن وشى بينهما بعض حساده متذرعين بقصيدة للشاعر في وصف المتجردة (زوجة النعمان) ، فوقر ذلك في صدر الملك فتوعده ، فلاذ بالغساسنة في الشام ، ممازاد من حقد النعمان عليه لالتجائه إلى أعدائه ومنافسيه . ومازال النابغة عند بني غسان حتى بلغه أن النعمان عليل ، فرجع يطلب الشفاعة إليه ، مقدماً بين يديه قصائد خالدة في الاعتذار استلت مافي نفس الملك ، وأحلته منه في المكان الأول .

عاش حتى سئم الحياة ، وقال :

المرءُ يأمـلُ أن يعيـ ـشَ وطولُ عيشٍ قد يضـــرُّهْ
تفنى بشاشتُـهُ ويَبْـ قى بعدَ حلوِ العـيش مـــرُّهْ
وتخونُه الأيـــام حتـ ـى لايـرى شيئـاً يَسُـــرُّهْ

وكانت وفاته في السنة الثامنة قبل الهجرة (نحو ٦٠٤م) .

الـنـص :

(١) أتاني – أبيتَ اللعنَ – أنَّكَ لُمتني وتـلـك التي أهـتـمُّ منـهـــا وأنـصـبُ
(٢) فـبتُّ كـأن العـائدات فـرشنَ لي هَراســاً بـه يُعلى فـراشي ويُقـشـبُ
(٣) حلفتُ فلم أترك لنفسـكَ ريبـةً وليـس وراءَ اللهِ لـلمــرء مـــذهبُ
(٤) لئن كنتَ قـد بُلغتَ عني وشـاية لمبـلـغُك الـواشـي أغـشُّ وأكــذبُ

(١) النعمان بن المنذر : أشهر ملوك الحيرة اللخميين وآخرهم (٥٨٠ – ٦٠٢ م) .

(٥) وإنك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ إذا ظهرت لم يبدُ منهنَّ كوكبُ
(٦) فلا تتركَنِّي بالوعيد كأنني إلى الناس مطليٌّ به القارُ أجربُ
(٧) ولَسْتَ بمستبقٍ أخاً لاتلمُّه على شعثٍ أيُّ الرجالِ المهذبُ
(٨) ألم ترَ أن اللهَ أعطاك سَوْرةً ترى كل مُلكٍ دونها يتذبذبُ
(٩) فإن أكُ ذا عتبى فعبداً ظلمتَهُ وإن تك ذا عتبى فمثلك يُعتِبُ

معاني المفردات والتراكيب اللغوية :

أبيت اللعن : تحية الملوك في الجاهلية ، أي لافعلت مايستوجب اللعن ، **أنصب** : أتعب وأعيا ، **هراساً** : الهراس جميع هراسة وهي شجرة كبيرة الشوك ، **لاتلمُّه** : لاتجمعه إليك ، **يقشب** : يوضع من جديد ، **الشعَث** : اتساخ الرأس من الغبار ، **السَوْرة** : المنزلة والشرف ، **يتذبذب** : يضطرب ، **العتبى** : الإعتاب وهو الرجوع عن الإساءة والعتبى أيضاً الموجدة والغضب ، **يُعتِب** : يصفح ويرضى .

إضـــاءة :

يقول الشاعر : بلغني أيها الملك أنك قد لمتني ، وهو أمر أهمني واتعبني وأمرضني ، فبت كأن النساء اللاتي يعدنني في مرضي قد فرشن لي الشوك على فراشي ، وهو شوك يتجدد باستمرار . ولقد حلفت بما ينزع الشك من نفسك ، وليس هنالك ماهو أعظم من الله يحلف به . وماقد بلغك عني من وشاية هي كذب وصاحبها كاذب وغشاش . وأنت أيها الملك أعظم الملوك قاطبة ، فأنت مثل الشمس وهم مثل الكواكب . فلاتدع غضبك عليَّ يستمر فوعيدك لي قدجعل الناس ينفرون مني مثلما تنفر الجمال من الجمل الأجرب المطلي بالقار . وإن كان قد بدر مني مايسوؤك فاصفح لأنك إذا لم تستبقِ الإخوان والأصدقاء على ما بهم من عيوب فلن تبقي لك أخاً أو صديقاً . ثم انظر إلى مكانتك أيها الملك وماحباك الله من رفعة وشرف تجد ملوك الأرض دونك عروشهم غير مستقرة . وأنا إن ظلمتني فقد ظلمت عبداً من عبيدك ولك الحق في ذلك ، وإن صفحت فذلك كرم منك وإحسان .

تحليل وتذوق

يبدأ الشاعر حديثه بكلمة « أتاني » ليدلل على أنه لايعلم من الأمر شيئاً ، وأنه بريء مما نسب إليه ، ويصور في البيت الثاني مافعله به ملام الملك مشبها حاله في تلك الليلة وماناله من ألم وأرق بحاله إذ يتقلب على الشوك ، وقد استخدم كلمة « العائدات » ليدلل على مرضه .

- وفي البيت الثالث يستخدم القسم ليؤكد براءته . أمافي البيت الرابع فهو يعود للمشكلة من جذورها ، وهي الوشاية ، ليقول : إن من نقل لك الوشاية ليس غاشاً وكاذباً فحسب ، بل هو أغش الناس وأكذبهم .

وتأتي هذه الصورة الجميلة في البيت الخامس التي يشبه فيها الملك – مادحاً – مع بقية الملوك ، وعلو شأنه بينهم بالشمس التي يطغى نورها عند طلوعها على سائر الكواكب ، وهو تشبيه بليغ .

- وفي البيت السادس يشبه حاله في حال غضب الملك عليه ووعيده له ، وقد نفر منه الناس وابتعدوا عنه بالجمل الأجرب الذي تُبعد، وتبتعد عنه الجمال ، لجربه وهيئته ، وقد طلي بالقار .
- وفي البيت السابع يأتي بما يشبه النصح « ولست بمستبقٍ أخاً لا تلمه على شعث »، مؤكداً خبر ليس بالباء لمعرفته تردُّد الملك في قبول ذلك ، وكنى عن العيوب بكلمة (شعث) ، ثم يردف باستفهام الغرض منه النفي « أيُّ الرجال المهذبُ ؟!) .
- البيت الثامن يُصَدِّره باستفهام يريد به أن يحمل الملك على الإقرار بما ادعاه له ، فهو هنا للتقرير . وفي استخدامه كلمة « يتذبذب » لتصوير عدم استقرار مُلك من هم دون النعمان من الملوك ، استعارة مكنية .
- وفي البيت التاسع والأخير يصل الشاعر إلى مبتغاه وهو طلب الصفح والعفو من الملك مستخدماً كلمة « العتبى » وهي كلمة تكون بين المتحابين ، فكأنما أراد أن يذكره بسابق العهد ، وماكان بينهما من المحبة والود .

أسئلة وتدريبات

١ – لمَ لقب الشاعر بالنابغة ؟

٢ – لمَ كان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم ؟ وماذا يعني ذلك ؟

٣ – ماسبب غضب الملك النعمان على الشاعر ؟

٤ – لمَ سئم النابغة العيش ؟

٥ – مامعنى (أبيت اللعن) ؟ ولمن تقال ؟

٦ – بمَ توحي الكلمتان : العائدات – يقشب ؟

٧ – كان النابغة معترفاً بوجود الله ، أين تجد ذلك ؟

٨ – (غاشٌ وكاذب – أغشُّ وأكذب) أي التعبيرين أبلغ ؟ ولمَ ؟

٩ – الملك النعمان تتضاءل أمام سلطته وتختفي كل الملوك . كيف عبّر الشاعر عن هذا المعنى ؟

١٠– غَضَبُ الملك على الشاعر جعل الناس ينفرون منه . كيف صور الشاعر ذلك ؟

١١– بيِّن وجه الاتفاق في البيتين الآتيين :

*** ولست بمستبقٍ أخاً لا تلمُّه　　　على شعثٍ أيُّ الرجال المهذبُ**

*** إذا كنت في كلِّ الأمور معاتباً　　　صديقك لم تلق الذي لا تعاتبُه**

١٢– لمَ جاءت كلمة (ريبة) منصوبة ، وكلمة (مذهب) مرفوعة ؟

١٣– (إنك شمس – إنك كالشمس) أي التشبيهين أبلغ ؟ ولِمَ ؟

١٤– ماقيمة قوله : مطليٌّ به القار ؟

١٥– (مثلك يُعتِبُ) تعبير فيه مدح ، وضحه .

رثـــاء

الـخـنـسـاء

التعريف بالشاعر

هي تُماضِر بنتُ عمرو بن الحارث بن الشرِّيد ، من بني سُليم ، من مُضَر ، أشهر شواعر العرب ، من أهل نجد عاشت أكثر عمرها في العصر الجاهلي ، وأدركت الإسلام فأسلمت ، ووفدت على النبي ﷺ مع قومها ، وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يستنشدها فتنشده وهو يقول هيه (١) ياخنساء .

أجود رثائها لأخويها « صخر ومعاويةَ » وكانا قد قتلا في الجاهلية لكن معظم رثائها لصخر وكان مما قالت فيه :

ولولا كثرة الباكين حـــولي ... على إخوانهم لقتلت نفسي

ومايبكين مثل أخي ولكـــن ... أسلِّي النفس عنه بالتأســـي

لها ديوان شعر فيه مابقي محفوظاً من شعرها .

كان لها أربعة أبناء شهدوا حرب القادسية في خلافة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – سنة ١٦هـ فجعلت تحرضهم على الثبات في المعركة ، حتى استشهدوا جميعاً ، فقالت : **الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم وأرجو أن يجمعني بهم في مستقر رحمته.**

ولم يذكر لها شعر في رثاء أبنائها خلاف ما كان عليه حالها قبل الإسلام ، ولعل السرَّ في ذلك يعود إلى أن الخنساء قد أدركت معنى الشهادة في سبيل الله، وقيمتها عند الله فاحتسبت ذلك عند الله، وصبرت على مصيبتها لعلمها يقيناً مصير الشهداء ، وليس الأمر كذلك بالنسبة لأخويها .

شعرها فصيح اللفظ ، واضح المعاني ، صادق العاطفة ، غلب عليه الرثاء كثيراً ، والفخر قليلاً .

الـنـص :

(١) قَــذىً بعـــينيكِ أم بالعين عُــوَّارُ ... أم ذرَّفت إذ خلـت من أهلـهــا الـدارُ

(٢) كــأن دمــعي لذكــراهُ إذا خطرت ... فــيضٌ يَســيلُ على الخــدَّينَ مــدرَارُ

(٣) تبـكي خُنَاسُ على صـخـر وحُقَّ لهـا ... إذ رابـهــا الـدهر إن الـدهـر ضــرَّارُ

---

(١) اسم فعل أمر معناه الطلب إلى محدثك الاستزادة في حديثه .

(٤) وإنَّ صخراً لوالينا وسيدُنا وإن صخراً إذا نَشْتُو لنحَّارُ
(٥) وإن صخراً لمقْدامٌ إذا ركبوا وإن صخراً إذا جاعوا لعقَّارُ
(٦) وإن صخراً لتأْتَمُّ الهداةُ به كأنَّه عَلَمٌ في رأسه نارُ
(٧) حمَّال ألويةٍ هبَّاط أوديةٍ شهَّاد أندية للجيش جرَّارُ

معاني المفردات والتراكيب اللغوية :

القذى : مايقع في العين من غبار ونحوه ، **العُوار** : كل مادخل العينين فآذاهما وأدمعهما ، **ذرَّفت** : تتابع دمعها ، **المدرار** : الغزير المتدفق ، **خناس** : تقصد نفسها . **رابها الدهر** : رأت منه ماتكره وأصل الريب الشك ، **ضرار** : شديد الضرر ، **نشتو** : ندخل في فصل الشتاء لارتباط الشتاء بالقحط والمجاعة ، **نحار** : كثير نحر الإبل لإكرام ضيوفه . **عقار** : العقر قطع قوائم البعير قبل نحره كى لا يفرّ . **تأتم الهداة به** : يهتدى به الأدلاّء الذين يَهْتدي الناس بهم في شؤون حياتهم . **العَلَمُ** : الجبل .

إضاءة :

تفتتح الخنساءُ حديثها في الأبيات بما يشبه الحوار حيث تخيلت سائلاً يسألها : ما بال عينيك تذرفان الدموع دون انقطاع ؟ أأصابهما أذى هيج دمعهما أم تبكيان فراق الأحباب ؟ فأجابت بأن ذلك يصيبها كلما ذكرت أخاها صخراً ، وتبرِّرُ ذلك بأنه حق مشروع ، فمصيبتها به تعد أعظم مصائب الدهر وأضراره.

فليس صخر إنساناً عادياً يمكن نسيانه ، بل هو سيد قومه وأكرمهم وخاصة عند الشدة والقحط ، وأكثرهم شجاعة وإقداماً لاسيما عند الخطوب والملمات .

وفوق هذا وذاك فصخر منار هداية، وصاحب عقل راجح وشهرة مرموقة، يراها كل ذى عينين ، مثله مثل الجبل الذي على قمته نار مشتعلة .

وأخيراً وصفته بأربع صفات تدل كلها على مكانته العالية بين قومه: الأولى والثانية أنه زعيم شجاع مقدام يحمل لواء القوم ولا يعتصم برؤوس الجبال خوفاً، بل يهبط لملاقات الأعداء إلى السفوح والأودية الثالثة والرابعة أنه قائد حكيم سديد الرأى ولذلك التف القوم حوله .

تحليل وتذوق

تأمل الألفاظ تجدها موحية ومعبرة بصدق عما يجيش بصدر الشاعرة من مشاعر الحزن والأسى ، فألفاظ مثل «قذى وعوار» توحي بشدة الألم الذي نجم عن الانهمار الغزير والمتواصل للدموع .

وترادف الكلمات «ذرَّفت» «فيض» «مدرار» يوحي بتدفق المشاعر والانفعالات النابعة من قلب حزين منكسر .

كما أن الإكثار من استخدام صيغتى المبالغة «فعَّال ومفعَال» مثل : عُوَّار،وضَرَّار ومدرار ، ونحَّار ، ومقدام ، وعقَّار ، وحمَّال ، وهبَّاط ، وشهَّاد ، وجرَّار قد أوحى بالتمايز بين مصائبها ومصائب الآخرين من جهة . ومن جهة ثانية فإن أخاها صخراً كان متميزاً في صفاته ، ففقدانه فاجعة أصابت أفراد العشيرة كافة.

وللشاعرة لفتات متميزة من جمال التعبير ففي البيت الثاني نلمح صورة الدموع المتدفقة والغزيرة على خديها وكأنها سيل فياض .

وفي البيت السادس نلمح تشبيهاً آخر صورت فيه أخاها جبلاً شاهقاً تشتعل النار برأسه في ظلمة الليل الحالك كي يراه السائرون في الليل من مسافات بعيدة، فصخر منار هداية كجبل في قمته نار ، يهتدى بها التائهون في الفيافي والقفار .

وفي البيت السابع أربع كنايات تدل عليها الصفات : حمال ، هباط شهاد، جرّار فحمال ألوية كناية عن الزعامة وهباط أودية كناية عن الشجاعة، وشهَّاد أندية كناية عن سداد الرأى و «للجيش جرار» كناية عن كفاءته للقيادة».

وفي البيت السابع أيضاً نوع آخر من جمال التعبير ، يتمثل في الجناس الناقص بين «أودية وأندية» وهو من المحسنات البديعية اللفظية وفي البيت الأول نلمح ظاهرة الاستفهام «قذى بعينيك» وهو استفهام الغرض منه التعجب .

ويستوقفنا في الأبيات الثالث والرابع والخامس تكرار إنَّ واللام ، وهو أسلوب توكيدي الغرض منه تثبيت هذه المعاني في أذهان السامعين .

وأخيراً فإن الشاعرة قد تميزت في تعبيراتها عن الألم والحزن بصدق المشاعر ، وتدفق الأفكار ، وسلاسة التعبير ، ووضوح المعاني وقد ساعدها على ذلك عاطفتها الجياشة نحو أخيها وتأثرها الشديد بفقده .

أسئلة وتدريبات

١ – ما اسم الخنساء ؟

٢ – لم اشتهرت بالرثاء ؟

٣ – ضع علامة (✓) أو علامة (X) أمام كل مما يأتي :

- الخنساء إحدى شاعرات العصر الأموي . ( )
- أدركت الخنساء الإسلام فأسلمت . ( )
- رثت الخنساء أبناءها ولم ترث أخويها . ( )
- غلب على الخنساء شعر الغزل دون سائر الأغراض . ( )
- قتل أخواها صخر ومعاوية في عصر صدر الإسلام . ( )
- شعر الخنساء فصيح اللفظ واضح المعاني صادق العاطفة . ( )

٤ – علام تدل الصفات الآتية :

حمّال – هبّاط – جرّار ؟

٥ – كثرت صيغ المبالغة في النص ، مادلالة ذلك ؟

٦ – تكررت إن واللام في الأبيات خمس مرات فما فائدة هذا التكرار ؟

٧ – قارن بين الأسلوبين التاليين :

– طويل النجاد [١] رفيع العماد كثير الرماد إذا ما شتـــا

– حمّـال ألـوية هبّـاط أوديـــة شهّاد أندية للجيش جـــرار

٨ – حمل البيت الثامن أربع كنايات . وضحها .

٩ – هل تلمس في الأبيات غرضاً آخر غير الرثا وضح ذلك .

١٠– مالمراد بكلمة (مدرار)؟ وما الفرق بين النحر والعقر ؟

١١– علام تدل قصتها مع أبنائها الأربعة ؟

١٢– كانت الخنساء تحب أخاها صخراً حباً شديداً . من أين تدرك ذلك ؟

١٣– بِمَ توحي عبارة « إذا نشتو لنحار» ؟

(١) النجاد حمالة السيف ، العماد أعمدة البيت .

رفضٌ وتمرُّد

الشَّنْفَرى

التعريف بالشاعر

عمرو بن مالك الأزدي . شاعر جاهلي يماني معدود في العدَّائين الذين لا تلحقهم الخيل .

ويقال : إن الشَّنْفَرَى حلف ليقتلن مائة رجل من بني سلامان قَتَلَة أبيه ، فقتل منهم تسعة وتسعين ، وأخيراً يرصدون له كميناً ، فيقع فيه ، ويمثلون به تمثيلاً بأن قطعوا جسده ورموا به للسباع ، ثم مرّ رجل منهم فركل جمجمته ، فدخلت شظية منها في رجله فمات ، وبذلك بلغ عدد القتلى مائة . وللشَّنفرى أشعار في الفخر والحماسة . وأشهر قصائده لاميته المعروفة بـ(لامية العرب) ، التي منها النص الآتي .

النص :

(١) أقيموا بني أمّي صدور مَطيِّكُم ... فإنّي إلى قومٍ سواكم لأميَلُ

(٢) فقد حُمَّت الحاجات والليل مقمرٌ ... وشُدَّت لطيَّات مطايا وأرحُل

(٣) وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى ... وفيها لمن خاف القِلى مُتَعَزَّلُ

(٤) لعمرك ما في الأرض ضيقٌ على امرئ ... سرى راغباً أو راهباً وهو يعقلُ

(٥) ولي دونكم أهلون : سِيْدٌ عَملَّسٌ ... وأرقط زهلولٌ وعرفاءُ جَيْألُ

(٦) هم الأهل ، لا مستودع السر ذائعٌ ... لديهم ، ولا الجاني بما جرَّ يخذلُ

(٧) وكلٌّ أبيٌّ باسلٌ ، غير أنني ... إذا عَرضتْ أولى الطرائدِ أبسلُ

(٨) وإن مُدَّت الأيدي إلى الزاد لم أكن ... بأعجلهم ، إذْ أجشعُ القوم أعجلُ

معاني المفردات والتراكيب اللغوية :

أقيموا : أعدوا ، **مطيّكم** : جمع مطية وهي الدابة ، **حُمَّ الأمر** : تهيأ وحضر ، **الطيّات** : جمع طية وهي النية أو الحاجة ، **الأرحُل** : جمع رحل وهو مركب البعير ، **المنأى** : الموضع البعيد ، **القلى** : البغض وشدة الكراهية ، **السِّيْد** : الأسد أو الذئب ،

العملّس : السريع ، **الأرقط** : النمر ، **الزهلول** : الأملس ، **عرفاء** : أنثى الضبع كثيرة شعر الرقبة ، الجيأل : الضبع ، **الجاني** : المذنب ، **جرّ جريرة** : ارتكب ذنباً ، **الباسل** : الشجاع .

إضـــــاءة :

يقول الشنفرى : يا بَني أمي جدوا في أمركم ، وأفيقوا من رقدتكم ، فإنكم إن أقمتم على ما أرى من إهمالكم أموركم وغفلتكم عن نصحي وتعاليمي ملت إلى غيركم فهذا وقت الحاجة ، فقد اتضحت الأمور وتهيأت النيات لكل شيء .

ويقول : إن للكريم مكانا في الأرض يستطيع أن يبتعد فيه عن الأذى، ويجد له مكانا فسيحا من الأرض .

ويقسم بأنه لايصعب على المرء أن يجد ذلك المكان البعيد إذا سرى إليه راغبا أوراهبا .

ويستبدل الشنفرى بأهله آخرين من الذئاب والنسور والضباع لأن هؤلاء – كمايرى – يحفظون السر ولا يخذلون الجاني إذا استجار بهم .

ثم يتحدث عن نفسه قائلاً : إنني أشجع الشجعان وأشدهم بأسا إذا ما استدعى الأمر ذلك ، كما أنّي متّصفُ بالقناعة وعزة النفس فلا أقرب المائدة إلا متأخراً لأن أجشع القوم من يتعجّل ذلك .

تحليل وتذوق

- تعد لامية العرب للشنفرى من أفضل نماذج شعر العصر الجاهلي عامة ، وشعر الصعاليك خاصة ، وذلك لما حوته من مميزات أساسية في إبراز حياة الصعلوك وخصاله في الفروسية والبطولة والبأس . وقد حرص الشاعر على رسم شخصيته معجبا بقوّته النفسيّة والجسدية مؤمنا بفلسفته في مقارعة الخطوب ، والعيش في العراء ،وسرعة شنه للغارات في الليل والنهار خدمة لوجهة نظره .
- وفي هذه الأبيات خير تعبير عن شخصية الصعلوك المغامرة الرافضة للنظام الاجتماعي المتعسف نلمس ذلك من قوله : « فإني إلى قوم سواكم لأميل » في الأرض منأى للكريم عن الأذى » « لعمرك ما في الأرض ضيق على امرئٍ » .
- كما أن في الأبيات ارتباطاً وثيقا بالطبيعة ، ووصفاً غنياً لأحوال الإنسان المتشرّد

والمتواجد في الفيافي ومعاشرة حيوانات الصحراء بعيداً عن الناس . ألا ترونه كيف استبدل بأهله أهلاً وأصحاباً آخرين يؤنسون وحدته هم الذئب والنمر والضبع وما إلى ذلك ؟ معللا أسباب هذه الصحبة بقوله : إنهم لا يذيعون سرّه – كما يفعل أبناء البشر – ولا يخذلونه في حياته . فهم كالأهل بل أفضل منهم .

– ويبرز البيتان السابع والثامن أهم صفتين عند الشاعر الصعلوك عامة ، والشنفرى خاصة وهما : (الشجاعة والإقدام والمروءة) ، فهو صعلوك عزيز النفس يسعى بنشاط ولايرهب الموت . كما أنه يؤثر غيره على نفسه فالبيت السابع يبرز شجاعته وإقدامه . والبيت الثامن كناية عن القناعة وعلو النفس .

أسئلة وتدريبات

١ – من هو الشنفرى ؟ اذكر قصة مقتله .

٢ – هل تجد غرابة في مصاحبة الحيوانات ؟ وضّح ذلك .

٣ – كيف يساعدنا هذا النص في تفسير ظاهرة الصعلكة ؟

٤ – إلى أى مدى ارتبط هذا النص بالطبيعة الصحراوية ؟

٥ – ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة ، وعلامة (X) أمام العبارة الخطأ :

– سميت قصيدة الشنفرى باللامية لأنها تنتهي بحرف اللام . ( )

– (أعدى من الشنفرى) مثل يضرب لكثير العداوة . ( )

– اشتهر الشنفرى وغيره من الصعاليك بالجشع . ( )

– في البيت الأول يخاطب الشاعر إخوانه من أمه . ( )

– هنالك صفات وجدها الشاعر في الحيوانات ولم يجدها في قومه . ( )

٦ – ما الفرق بين لامية العرب وقصائد الشعر الجاهلي من حيث المطلع « البداية » ؟

٧ – بم تفسّر قلّة الصور الخيالية في النص ؟

٨ – **لعمرك ما في الأرض ضيق على امرئ سرى راغباً أو راهبا وهو يعقل .**

أ – البيت يعكس بجلاء حال الشاعر . وضح ذلك .

ب – (لعمرك) ما نوع هذا الأسلوب؟ وماذا نسمي « اللام »؟

جـ – (راهبا – راغبا) بين جمال التضاد في المعنى .

٩ – «**ولي دونكم أهلون**» « **ولي أهلون دونكم** » .

أي التعبيرين أبلغ ؟ ولِمَ ؟

١٠– **أقسِّم جسمي في جسوم كثيرة وأحسو قَراح الماء والماءُ باردُ**

– اذكر بيتاً من النص يتفق مع هذا المعنى .

١١– النص واقعي، أين تتمثل مظاهر الواقعية فيه ؟

١٢– يقول تأبط شرا :

يرى الوحشة الأُنس الأنيسَ ويهتدي بحيثُ اهتدت أم النجوم الشوابك

ما العلاقة في المعنى بين هذا البيت ، والبيت السادس للشنفرى ؟

١٣– « وكل أبيّ باسلٌ غير أنني » ماذا نسمي هذا الأسلوب نحوياً ؟

١٤– استخرج من الأبيات أسلوب شرط غير جازم .

النثر في العصر الجاهلي

لم يصل إلينا من النثر الجاهلي الكثير مثلما وصل من الشعر ، الذي كانت له مكانة كبيرة جعلتهم يقولون : « الشعر ديوان العرب » . فكما مرَّ سابقاً ، لم يبدأ التدوين إلا في وقت متأخر ، وما وصل إلينا من الشعر كان للرواية دور كبير فيه، أما النثر فيصعب تناقله بالرواية . وأنواع النثر في العصر الجاهلي هي : القصص ، والأمثال ، والحكم والخطابة ، والوصايا ، وسجع الكهان .

وفيما يلي عرض موجز لكل نوع منها :

القصص :

تتمثل قصص الجاهليين بما كانوا يتناقلونه بينهم عن أيامهم وحروبهم كحرب « داحس والغبراء » وحرب « البسوس » ، وماسجله أبطالهم من انتصارات ساحقة ، ومامنيت به بعض قبائلهم من هزائم منكرة .

كما كانوا يقصون عن ملوكهم المناذرة والغساسنة ، ومن سبقوهم أو عاصروهم مثل ملوك الدولة الحميرية . وهذا كله مبثوث في كتب : « تاريخ الطبري » و « السيرة النبوية » لابن هشام و « الأغاني » لأبي فرج الأصفهاني وأشهر هذه القصص قصة « الزبَّاء » أو « زنوبيا » .

كذلك كان العرب الجاهليون يقصون عن ملوك الأمم الأخرى من حولهم ، وعن الجن والعفاريت مثل الغول ، وهو كائن خرافي تخيله بعضهم امرأة ماعدا رجليها ، وتخيله بعضهم مخلوقات لها أسنان مخيفة كالرماح .

الأمثال :

المثل : قول جميل موجز يعتمد على حادثة أو قصة ، ويُضرب في ظروف مُشابهة لظروف تلك الحادثة .

وعلى عكس القصص وصلنا الكثير من الأمثال الجاهلية غير محرَّفة لأنها عبارات قصيرة تكتنز الحكمة والخبرة ، وتدور على الألسنة ، لذلك يسهل انتقالها بالرواية مثل الشعر . وقد ضمت هذه الأمثال كتبٌ مثل « أمثال العرب » للمفضل الضبي ، ، و « جمهرة الأمثال » لأبي هلال العسكري ، « ومجمع الأمثال »

للميداني . ولا تقتصر هذه الكتب على الأمثال بمفردها ، بل يأتي المثل مع القصة التي نشأ عنها المثل ، ومضرب هذا المثل .

وفيمايلي نماذج من الأمثال في العصر الجاهلي :

١ – رَمَتْني بدائها وانْسَلَّتْ .

قصة المثل : يُحكى هذا المثل عن إحدى ضرائر « رُهْم » بنت الخزرج زوجة سعد بن زيد مناة . وقد رمتها « رُهْم » بعيب كان فيها ، فقالت الضرَّة : رمتني بدائها وانسلت ، فسار مثلاً .

ويُضرب هذا المثل لمن يعيِّر آخر بعيب هو فيه .

٢ – الصَّيفَ ضَيَّعتِ اللَّبن .

قصة المثل أن امرأة تزوجت من شيخ كبير يملك إبلا وأغناماً ، ولكنها أخذت ترفع صوتها وتنكِّد عليه واستمرت على ذلك حتى طلقها في الصيف .

تزوجت من شاب فقير بعد ذلك ، فاحتاجت يوماً لبناً ولم تجد من تطلب سوى زوجها الأول . فقال لها : الصيف ضيعت اللبن .

ويضرب لمن يفرط بما هو موجود ، ثم يندم عليه ويعود يطلبه .

٣ – أشأَمُ من البَسُوس .

« البسوس » امرأة نزلت مع ناقتها ديار بكر لبعض الوقت عند ابن اختها جَسَّاس . وقد دخلت الناقة في مراعي كليب التغلبي (أخو المهلل) ، فرماها بسهم أصاب ضرعها ، ولما عادت الناقة ترغو وتخور صاحت البسوس ، وظلت تنوح وتستنجدم : واجساساه إلى أن قتل جساس كليباً ، فقامت الحرب بين بكر وتغلب .

٤ – جُوزِيَ جزاءَ سنمَّار .

القصة أن بنّاءً رومياً ماهراً كل المهارة اسمه سنمار بنى للملك النعمان قصراً فخماً ، فلما أنجز بناءه قال للملك : في القصر حجر لوزال لسقط القصر كلُّه . فقال له النعمان : وهل يعرفه أحد سواكَ ؟ فقال سنمار : لا . قال النعمان : لن يعرفه أحد بعد اليوم ، وأمر بإلقاء سنمار من فوق القصر .

٥ - رَضِيتُ من الغنيمةِ بالإيابِ .

أول من قاله امرؤ القيس في البيت الآتي :

وقد طوَّفْتُ في الآفاق حتى رضيتُ من الغنيمةِ بالإيابِ

يضرب هذا المثل عند القناعة بالسلامة .

٦ - ربَّ قولٍ أشدُّ من صول .

يضرب هذا المثل للكلام المؤثر في السامعين والموجِّه لهم .

٧ - لَبِستُ له جلدَ النمر .

يضرب في إظهار العداوة وكشفها

٨ - ليس بأول من غرَّه السَّراب .

قالوا : أصله أن رجلاً رأى سراباً فلم يتزود (بالماء) ، فكان فيه هلاكه .

ويضرب لمن لايتخذ الحيطة اللازمة والعُدَّة الضرورية في كل أمر .

٩ - اللِّسانُ مركبٌ ذلُول .

يعني أن الإنسان يقدر على قول الخير والشر ، فلايعوِّد لسانه قول السوء ومايجلب الشر .

١٠- ليس من العَدْل سرعةُ العَذْل .

أي لاينبغي أن تعجلَ باللوم قبل أن تعرف العذر .

١١- به لا بِظبيٍ أَعْفَر .

الأعفر : الأبيض ، أي لتنزل به الحادثة أو المصيبة لابظبي .

يضرب عند الشماتة .

١٢- بالساعدين تَبْطِشُ الكَفَّان .

يضرب هذا المثل في تعاون الرجلين على أمر ما .

١٣- بَقْلُ شهرٍ وشوكُ دهر .

يضرب لمن خيرُهُ قليلٌ وشرُّهُ كثير .

١٤- بَكَّرَتْ شَبْوة تَزْبَئِرُّ .

شبوة : اسم للعقرب ، تنطق بدون « أل » .

يضرب لمن يستعد ويشمِّر عن ساعديه للشر .

١٥- البِطْنةُ تُذهبُ الفطنة .

البطنة : التخمة ، الفطنة : العقل وصفاؤه .

يضرب لمن لايحسب حساب ذهاب صفاء العقل ، وهو يفتك بالطعام .

١٦- أندى من البحر .

١٧- أمضى من السيف .

١٨- أنزه من روضة .

الحِكَم :

الحكمة قول بليغ موجز يجمل في طياته معنى سامياً وتجربة إنسانية عميقة. وقد تتشابه وتتداخل الحكم والأمثال ، فترد بعض الحكم أمثالاً .

وهذه بعض الحكم في العصر الجاهلي :

- **من عيَّركَ شيئاً ففيه مثلُه .**
- **من ظلَمكَ وجد من يظلمُه .**
- **إذا نَهَيْتَ عن شيء فابدأْ بنفسك .**
- **لاتشاور مشغولاً وإن كان حازماً .**
- **كَلْم اللسان أَنْكَى من كَلْم السِّنان .**
  كَلْم : جَرْح ، السِّنان : الرمح .
- **من ضَاقَ صدره اتَّسَعَ لسانُه .**
- **ربَّ ملومٍ لاذنبَ له .**

الخطابة :

استدعى ظهور الخطابة في العصر الجاهلي كثرة المنازعات والحروب ، فالخطابة مظهر من مظاهر الحرية والفروسية ، ووسيلة من وسائل الإقناع والتأثير ، تماماً كدور وسائل الإعلام المعاصرة الآن .

وقد اتخذ عرب الجاهلية من مجالسهم في مضارب الخيام والأسواق وساحات الأمراء ميادين لإظهار قدراتهم في المقال والكلام . يقول الجاحظ : « وكل شيء للعرب فإنما هو بديهية وارتجال وكأنه إلهام » .

كانت الخطابة تدعو إلى الحرب والثارات أحياناً ، وتدعو إلى إصلاح ذات البين وأن تضع الحروب أوزارها أحياناً . كما كان الخطباء ينهضون لنصح قومهم في الأسواق وإِرشادهم في مختلف المناسبات . ولعل خطبة قس بن ساعدة في سوق عكاظ وخطبة أكثم بن صيفي خير مثالين .

سجع الكُهَّان :

كان هناك أناس يعرفون بالكُهَّان، يزعمون أنهم يطَّلِعون على الغيب، ويعرفون مايأتي به المستقبل، فكل كاهن له رَئي من الجن يخبره بأخبار المستقبل.

وكان معظم هؤلاء الكهان يخدمون في بيوت الأصنام والأوثان ، فكانت لهم قداسة دينية يستغلونها كيفما شاؤوا بكلامهم المسجوع .

أسئلة وتدريبات

١ – ما أنواع النثر في العصر الجاهلي ؟

٢ – فيم تتمثل قصص الجاهليين ؟

٣ – اذكر كتابين تضمنا بعض قصص الجاهليين .

٤ – عرِّف المثل ؟

٥ – في أي المواقف تضرب الأمثال الآتية :

البطنة تذهب الفطنة ، به لابظبي أعفر ، أندى من البحر؟

من الخطابة :

عـــزاء

أكثم بن صيفي

التعريف بقائل النص

أكثم بن صيفي بن رياح التميمي حكيم العرب في الجاهلية ، وأحد المعمرين، عاش زمناً طويلاً ، وأدرك الإسلام ، وقصد المدينة في نحو مائة من قومه يريدون الإسلام ، فمات في الطريق سنة ٩هـ / ٦٣٠م ، ولم يرَ النبي ﷺ ، وفيه وفي أمثاله نزلت الآية الكريمة:

﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ (١)

من كلامه وحكمه : من لم يعتبر فقد خسِر ، المزاح يورث الضغائن ، من سلك الجدد أمن العثار ، من مأمنه يؤتى الحذِر . . .

ومما قاله يعزي عمرو بن هند في أخيه هذا النص الذي احتوى على الكثير من الحكم .

الــنــص :

« إن أهلَ هذه الدارِ سَفْرٌ لا يحلُّون عقدَ الرّحالِ إلا في غيرها ، وقد أتاك ماليس بمردودٍ عنك ، وارتحلَ عَنك ماليس براجعٍ إليك ، وأقامَ معك من سيظعنُ عنك ويدَعُك . واعلم أن الدنيا ثلاثة أيامٍ : فأمسُ عظةٌ وشاهدُ عدلٍ فجعك بنفسه وأبقى عليك حكمته ، واليومُ غنيمةٌ وصديق أتاك ولم تأته ، طالت عليك غيبتُه ، وستسرعُ عنك رحلتُه ، وغدٌ لاتدري من أهلُه وسيأتيك إن وجدَك . فما أحسنَ الشكر للمنعم ! والتسليمَ للقادر ! وقد مضت لنا أصولٌ نحن فروعُها ، فما بقاءُ الفروع بعد أصولها ؟ ! واعلم أن أعظمَ المصيبة سوءُ الخلفِ منها ، وخيراً من الخيرِ معطيه ، وشراً من الشرِ فاعلُه» .

معاني المفردات والتراكيب اللغوية :

سفر : مسافرون ، **العقد** : الربط ، **يظعن**: يرحل ، **عظة**: نصيحة ، فجعك **بنفسه**: أحزنك بفقده ، التسليم **للقادر** : الاستسلام لله .

(١) النساء : الآية (١٠٠) .

إضـــــاءة :

يقول أكثم بن صيفي : إن الناس جميعاً في حالة سفر دائم ، ولن يستقروا إلا في قبورهم . وقد جاءك أيها الملك أمر حتمي هو موت أخيك الذي لا تستطيع أن تتجنبه ، ولا يستطيع غيرك أن يجنبك إياه ، وأن أخاك قد رحل عنك ولن يعود، ومن بقي معك ولم يمت سيموت أيضاً ويتركك ، فهذه الدنيا ثلاثة أيام: أمس رحل وترك لك النصيحة والحكمة ، ويوم حاضر ، عليك أن تستغله، لأنه سريع الزوال ، وغدٌ لا تعلم عنه شيئاً ولاتدري إن كنت ستعيشه أم لا . والأفضل لك أن تشكر الله وتسلم بقضائه ، فالآباء والأجداد قد رحلوا فكيف يخلد نسلهم، وتذكر أن ماتتركه المصيبة من أحزان أعظم من المصيبة نفسها ، وأن الذي يعطي الخير أفضل من الخير نفسه ، ومن يفعل الشر هو شر من الشر .

تحليل وتذوق

يدور النص حول حتمية الموت وما ينبغي على الإنسان من شكر لله على نعمه، وتسليم بقضائه ، لكي يحيا حياته هانئاً .

يبدأ أكثم بن صيفي فيصور الدنيا بالدار ، ويشبه أهلها بالمسافرين الدائمي السفر لايستقرون إلا في غيرها ، فيقول : « لا يحلُّون عقد الرحال » ، وفي هذا كناية عن عدم الاستقرار وعن الفناء. ثم ينبه الملك إلى أن ما حلّ به لايمكن رده ، ومن مات لايمكن إرجاعه في قوله: « وقد أتاك ماليس بمردود عنك. . . » وهو يشخص الموت في كل هذا ، مؤكداً خبر ليس بالباء: « بمردود – براجع » ، لإقناع المخاطب ، ويقول: إن من بقي حياً سيموت هو الآخر ، مستخدماً كلمة « سيظعن » ويعني بها الموت.

ثم يبدأ بنصح الملك مقدماً بين يديه البراهين ، بأسلوب بسيط ومؤثر . حيث يبدأ بفعل الأمر « واعلم» وهو أمر يراد به النصح والإرشاد ، ويصور اليوم بالغنيمة والصديق (تشبيه بليغ) والأمس بالشاهد (تشبيه بليغ) وهو في الخطبة كلها يركز على التشخيص لإقناع الملك وتقريب المعنى .

« ما أحسن الشكر للمنعم ، والتسليم للقادر ! » ، أسلوب تعجب يحاول به أن يغري الملك بشكر الله والتسليم لقضائه ، ولكي يقرب الصورة يشبه الآباء بأصول الشجرة ، والأبناء بفروعها (استعارة تصريحية) ، ثم يستفهم « فما بقاء

الفروع بعد أصولها ؟ » وهو هنا لايريد جواباً ، إنما يدفع السامع إلى التفكير ليعرف استحالة البقاء والخلود .

يسوق بعد ذلك طائفة من الحكم التي اشتهر بها ، ويؤكدها بأن : « واعلم أن أعظم من المصيبة ماتخلفه . . . » ، وينهي حديثه بمبالغة جميلة فيها حث على الخير ، وتنفير من الشر ، وقد زاد الأسلوب جمالاً هذه المقابلة اللطيفة بين الجملتين الأخيرتين.

أسئلة وتدريبات

١ – ما الظروف التي أحاطت بموت أكثم بن صيفي ؟

٢ – قارن بين ميتة أكثم وميتة الشاعر الأعشى .

٣ – اشرح الحكمة الآتية : « من مأمنه يؤتى الحذر » .

٤ – كيف عبر أكثم بن صيفي عن عدم البقاء في الدنيا ؟

٥ – الدنيا عند أكثم ثلاثة أيام ، ماهي ؟ وكيف صورها ؟

٦ – لِمَ ذكر الشكر عندما ذكر المنعم ؟ والتسليم عندما ذكر القادر؟

٧ – ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخطأ :

– اشتهر أكثم بن صيفي بالحكمة . ( )

– النص السابق في مدح عمرو بن هند . ( )

– عمرو بن هند أحد ملوك الغساسنة . ( )

– كلمة (سفر) في السطر الأول اسم « إن » مؤخر . ( )

– في قوله : « وقد أتاك ماليس بمردود عنك » يقصد الموت . ( )

٨ – اختر العبارة المناسبة من بين الأقواس :

– جملة (ما أحسن الشكر) هي :

(أسلوب استفهام – أسلوب تعجب . – أسلوب شرط) .

– المقصود بالدار في النص السابق :

(قصر الملك عمرو بن هند – دار أعدّ للمسافرين – الحياة الدنيا) .

٩ – ما المراد بالاستفهام في قوله : فما بقاء الفروع بعد أصولها ؟

١٠– ما الغرض من الأمر في قوله : « واعلم . . . » ؟

١١– ما معنى (فجعك بنفسه)؟ وما الجمال في هذا التعبير ؟

١٢– حوت القطعة كثيراً من المؤكدات . لِمَ ؟

١٣– لِمَ استخدم أسلوب التعجب (ما أحسن الشكر . . .) ولم يستخدم الأمر؟

وصـيّـة أُمّ

أُمامة بنت الحارث

التعريف بقائلة النص

قالت أمامة بنتُ الحارث الشيباني هذه الوصية عندما خطب «عمرو بن حجر» ملك كندة ابنتها أم إياسٍ بنت عوف بن محلم الشيباني، وجعل مهرها عقاراً في كندة.

نشأت (أم إياس) وترعرعت وشبّت في بيئة صالحة، مع أم رزينة العقل، سديدة الرأي، قوية البيان. فهي على حظ وافر من الأدب وكرم الخلق. لذلك تأتي وصية أمامة زيادة في الحرص، ومن قبيل تنبيه الغافل، ومعاونة العاقل من الناس بشكل عام.

الـنـص :

أَيْ بُنَيَّة، إِنّكِ فارقتِ الجوَّ الذي منه خرجت، وخلفتِ العشَّ الذي فيه دَرَجت إلى وكرٍ لم تعرفيه، وقرينٍ لم تألفيه، فأصبحَ بملكه عليك رقيباً ومليكاً، فكوني له أَمةً يكنْ لكِ عبداً وشيكاً، فاحفظي له خصالاً عشراً يكنْ لكِ ذخراً.

أما الأولى والثانية: فالخشوعُ له بالقناعة، وحسنُ السَّمْعِ له والطاعة. وأما الثالثةُ والرابعة: فالتفقد لمواقع عينيه وأَنْفه، فلا تقعُ عينُهُ منك على قبيحٍ، ولا يَشُمُّ منك إلا أطيبَ ريح. وأما الخامسةُ والسادسة: فالتفقدُ لوقت طعامه ومنامه، فإن تواترَ الجوع مَلْهَبةٌ، وتنغيصَ النومِ مَغْضَبةٌ. وأما السابعةُ والثامنة: فالاحتراسُ بماله، والإرعاءُ على حشمه وعياله. وملاك الأمر في المال حسنُ التقدير، وفي العيال حسنُ التدبير. وأما التاسعة والعاشرة: فلا تعصين له أمراً، ولاتفشين له سراً.

معاني المفردات والتراكيب اللغوية:

العش والوكر: المقصود بهما البيت، **درجت**: حَبَوت ومشيت طفلة، **القرين**: المراد به الزوج، **الذخر**: الادخار، **تواتر**: ازدياد، **مَلْهَبَة**: فيه حرقة واستفزاز، **تنغيص**: تكدير، **الاحتراس**: الحفظ والحرص، **الإرعاء**: القيام بالخدمة وتلبية الاحتياج، **حشمُهُ**: من يغضب لهم ويغضبون له من أهله وأقربائه.

إضـــــاءة :

جاءت هذه الوصية في مناسبة مهمة هو زواج ابنة أمامة .

تخاطب أمامة ابنتها بأسلوب النداء ، وتقول لها : بزواجك تكونين قد انتقلت إلى مكان عيش جديد ، مع زوج وعشير لم تألفيه ، فكوني له طائعة يكن لك أطوع .

ولكي يحدث ذلك إليك الآتي :

- الرضا بالمقسوم ، والترفق واللين في معاملة شريك حياتك .
- العناية ببيتك ، وتنمية جو مريح تحت سقفه والعناية بنفسك كي لايرى زوجك إلا طيِّباً ولا يشم إلا طيِّباً .
- مراعاة أوقات الطعام والنوم ، وجعل الأسرة مجموعة أوقاتها منتظمة ، وحياتها لاتعرف الاضطراب .
- حسن الإنفاق وتدبير شؤون البيت بما يجعله مؤسسة زوجية ناجحة .
- الاهتمام بما يجول في ذهن شريك حياتك، والحرص على كتمان أسرار حياتكما الزوجية .

تحليل وتذوق

في الفقرة الأولى يمكننا الوقوف على ما يأتي :

- بدأت (أمامة) الحديث لابنتها بأسلوب إنشائي هو أسلوب النداء مستخدمة أداة النداء « أي » ، لأن البنية قريبة منها في المكان ، ولأنها قريبة من أمها من الناحية العاطفية، في مثل ظرف كهذا . وقد استخدمت التصغير « بُنيَّة »لإظهار الحنان . وجاء التوكيد « إنك فارقت » دالاً على جدية الحياة الجديدة .
- استخدمت أمامة الفعل « درجت » لإظهار مقدار أُلفة الفتاة لبيت أهلها منذ أن كانت طفلة ، وذلك من أجل إبراز مشقة الانتقال إلى بيت آخر جديد عليها .
- ليس مصادفة أن تختار أمامة كلمة « العش » للبيت الذي عاشت فيه الفتاة، وكلمة « الوكر » للبيت الجديد المنتقلة إليه . فكلمة « عش » توحي بالأُلفة ، مقابل كلمة « وكر » الموحية بمكان غير معروف . وكلمتا « عش ووكر » فيهما استعارتان تصريحيتان تقرِّبان لنا إحساس الإنسان عندما ينتقل من مكان مألوف إلى مكان

جديد (شبهت البيت الأليف بالعش ، والبيت غير المعروف بالوكر) .

– وفي قولها « فأصبح بملكه عليك رقيباً تنبيه إلى ضرورة أن تعمل الفتاة ما يتوجب، وألا تعمل مايدعوها إليه الهوى والكسل والإهمال .

– في قولها « كوني له أمةً يكن لكِ عبداً » تعبير جميل ، إذ أن شعور الزوج – وهي طبيعة إنسانية – بأن زوجته مطيعة ملبية يأتي بنتيجة طيبة ، فيجد الزوج نفسه يبادلها نفس السلوك .

وقد يسأل سائل: لمَ قالت « أمة وعبداً »؟ والواقع أنها لاتقصد العبودية الفعلية، ولكنها تقصد هذا المستوى من التفاهم حين يصبح كل من الزوج والزوجة يتفانى من أجل إسعاد الآخر وإبعاد ما يكدِّره . وفي هذا التعبير « كوني له أمة يكن لك عبداً » تشبيهان بليغان الغرض منهما تجسيد الولاء والطاعة لبعضهما .

في الفقرة الثانية تذكر أمامة وصيتها في خصال عشر ، كل اثنتين معاً .

– الأولى والثانية : لكي ينجح زواج ابنتها ويدوم لا تذكر كلمة « الرضا » بل تأخذ كلمة « الخشوع » وهو رضا مبالغ فيه . ويتضمن قولها صفة إيجابية عامة وهي « حسن السمع »، فمن لا يستمع للآخرين لا يفهمهم ، وهم لا يتقبلونه أو يتواءمون معه .

– الثالثة والرابعة : لكي تقول: عليك أن تجعلي من بيتك مكاناً مريحاً قالت: « التفقد لمواقع عينيه » . وفي هذا التعبير إيحاء بالحرص على تمام الجو المطلوب والطيب العابق المتلازم مع التفاهم والمحبة .

– الخامسة والسادسة : أتت أمامة بكلمتي « ملهبة ، مغضبة » لتنبِّه إلى نتيجة إهمال الطعام وتنغيص النوم . وفي « ملهبة » استعارة ، حيث شبهتْ قرصة الجوع بوقع لهب النار .

– في الخصال الأربع الأخيره تستوقفنا كلمة « الإرعاء » التي اختيرت لتضع في ذهن الفتاة أنها كالراعي المسؤول عما يرعى ، والراعي لا يمكن أن يتهرب من نتائج مسؤوليته .

ويمكننا أن نخلص إلى جملة نقاط عن الوصية متمثلة بما يأتي :

– لاتقف أمامة بين الجمل والعبارات إلا بالسجع : « خلَّفتِ – درجتِ ، تعرفيه –

تألفيه ، مليكاً – وشيكاً ، عشراً – ذخراً ، القناعة – الطاعة ... » ، وهو سجع غير متكلّف ، يكسب الوصية جرساً موسيقياً مؤثراً في السامع .

– جمل الوصية قصيرة فيها إيجاز ، وقوة ، ووضوح . ويمكن القول : إنها مثال حقيقي للنثر في العصر الجاهلي .

– الأفكار في الوصية دقيقة ومرتبة ، والوصية منهج لنجاح المرأة في علاقتها مع زوجها .

تعتمد الوصية على إقناع العقل أكثر من الاعتماد على الإثارة العاطفية ، ولذلك جاءت الصور من تشبيهات واستعارات قليلة لأن أُمامة تريد توضيح الفكرة والتعليل لها .

– الألفاظ سهلة ، وعباراتها سلسة موقَّعة توقيعاً موسيقياً مؤثراً ، رغم متانة هذه الألفاظ .

ويمكن القول : إن الوصية تحمل فكرة « أسس الحياة الزوجية السليمة » .

أسئلة وتدريبات

١ – ما مناسبة قول النص ؟

٢ – من الذي خطب بنت أمامة ؟ وبم أمهرها ؟

٣ – بم اتسمت شخصية أُمامة ؟

٤ – ماقيمة هذه الوصية ؟

٥ – ما المقصود « بالجو » في قولها : « فارقت الجو الذي منه خرجت » ؟

٦ – هناك مايشير إلى تبادل الطاعة بين الزوجين في النص : حدّده .

٧ – لمَ اختارت أمامة القول : « التفقد لمواقع عينيه » ؟

٨ – تأتي كلمة « حشم » مسبوقة بكلمة أخرى ، فما هي ؟

٩ – لمَ اختارت أمامة كلمة الإرعاء ؟

١٠– ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة ، وعلامة (X) أمام العبارة الخطأ فيما يأتي :

- السديد الرأي هو الذي يأتي بالرأي المناسب . (   )
- العقار من المال هو النقود والمطايا . (   )
- كلمة « ترعرع » توحي بالنمو في ظروف حياة رخيّة . (   )

- العاقل من يحتاج دوماً إلى التنبيه والتذكير . (   )
- تأتي كلمتا « العش والوكر » دوماً بمعنيين مختلفين . (   )
- بين الفعلين « خرجت وخلَّفتِ » تضاد . (   )
- قد تعني كلمة « القرين » الوسواس عند المريض نفسياً . (   )

١١ – اختر الإجابة الصحيحة من بين الأقواس فيمايأتي :

- المقصود بالمليك : (سيدكَ ، المرتبط بكِ ، دليلكِ) .
- معنى « وشيكاً » : (قريباً ، آنياً ، مرحلياً) .
- مما يجعل العش الزوجي ناجحاً : (طاعة الزوجة ، الطاعة المشتركة ، الطاعة اللازمة) .

عصر صدر الإِسلام

ظهر الدين الإسلامي في أمة العرب ؛ فأصبغ عليها تعاليمه السمحة ، وطوَّع إمكاناتها العظيمةٍ ، التي كانت تهدرها في السفه ، والحمق ، ومحاكاة الآباء والأسلاف دون هدى أو بصيرة ، لنصرة الخير والعدل ، ورسم لها طرق الفضيلة وماينبغي أن تتحلَّى به في سلوكها ، وأخلاقها من طهارة النفس وسمو الخلق ، ونبذ كل الفواحش والرذائل والارتفاع عن الدنايا والنقائص . فأحدث الإسلام بذلك ثورة شاملة في مختلف جوانب الحياة السائدة في العصر الجاهلي ، فأقرَّ منها مايتفق مع هداه ، ونبذ ماعدا ذلك . فتمثل العرب – الذين شرح الله صدورهم للإسلام – كل تلك القيم العظيمة، واندفعوا إلى كل أصقاع الأرض لنشر نوره وهدايته ، حتى يعمَّ الخير الذي نالهم كل البشرية .

ومن تلك التحولات التي أحدثها الإسلام ما يأتي :

١ – الحياة الروحية (الدينية) :

أحدث الإسلام تحولات شاملة في الحياة الروحية في صدر الإسلام ،من أبرز سماتها ما يأتي :

- دعا إلى وحدانية الله الواحد الأحد، فلا إله سواه ولاعبودية لغيره . قال تعالى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (١) فوحّد المسلم ربه، وأصبح موحَّد الأفكار، والمشاعر والعقيدة والعبادة، بعد أن كان مشتتاً تتقاذفه آلهة متعددة .
- حرر الإنسان من الشرك وعبادة الأوثان وقوى الطبيعة المتوهمة قال تعالى : ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ ﴾(٢) ، كما استهجن الكهانة والسحر والشعوذة، فاستقرَّ أمر المسلم، وصلح حاله بعد أن كان مشركاً يسجد للحجر، ويلجأ إلى الكهانة والشعوذة في إصلاح حياته، أو دفع الأذى عنها –كما كان يتوهّم.
- خلَّص الإنسان من حيرته، حول وجوده ونهاية حياته، وبعثه، فأجاب على كل الأسئلة التي كانت تدور في خَلَده. فعرَّفه كيف كان خلْقه، وأكدَّ له بعثه.

---

(١) سورة محمد آية : ١٩ ، (٢) سورة الحج آية : ٣٠ .

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٥﴾ (١)

- بيَّن له أن مآله إلى الدار الآخرة ، وأنه مسؤول يوم الحساب أمام ربه ، ومحاسب على أعماله ، قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾(٢) فكُبحَت الشهوات، وتسابق الناس إلى فعل الخير ، فاطمأنت النفوس ، وتضاءلت الشرور .
- كرَّم الله الإنسان، ورفع من شأنه، ففضلَّه على كثير ممن خلق، وعرفه أن الطبيعة مسخرَة له، ولمنفعته ، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ (٣)

فساعده ذلك على الثقة بنفسه ومعرفة سنن الكون ، وتسخيرها لمصلحته .

- ارتقى بعقل الإنسان ، وحثَّه على التفكير فيما حوله من حياة ، قال تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ (٤)

٢ - الحياة الاجتماعية :

أقر الإسلام من حياة العرب الاجتماعية ماكان يتفق مع هداه ، وقضى على كافة الجوانب السيئة التي كانت سائدة في العصر الجاهلي ،فأحدث بذلك ثورة شاملة في

(١) الحج آية : ٥ ، (٢) المدثر آية: ٣٨ ، (٣) الإسراء آية: ٧٠ ، (٤) آل عمران آية : (١٩١) .

الحياة الاجتماعية ، من أبرزها ما يأتي :

- حرم على المسلمين التنازع والفرقة ، وحبب إليهم الوحدة والتآلف في كل أمورهم. قال تعالى : ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ﴾ [1] .
- حرَّم عليهم دماءهم إلاَّ بحقها الشرعي قال تعالى :

﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ ﴾ [2]

كما غلّظ عقوبة قتل النفس بغير حق ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ٩٣ ﴾ [3]

- نمَّى في وجدانهم الاستشعار بوحدة المصير ، فأصبح الفرد لايعيش لنفسه وحدها، بل يعيش – أيضاً – لأمته ، ويتفاعل مع قضاياها . وقد روي عن النبي محمد ﷺ قوله : (**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**) فانقلب المسلمون بنعمة من الله، وتركوا وراءهم كل تلك الأحقاد التي شتتت شملهم ، وزجت بهم في معارك دموية دامت عشرات السنين (كحرب داحس والغبراء) وحرب (البسوس) .
- كفل للمرأة حقوقها ، ورفع من شأنها، وأوصى بحسن معاشرتها، وبيَّن أن الخير في عدم التفريط بها ، وفي الصبر عليها. قال تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ ﴾ [4]

وقال سبحانه: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩ ﴾ [5]

فاختفى بذلك – من جزيرة العرب – وأد البنات ، وامتهان المرأة التي كانت تُوَّرث كالمتاع ، فأصبح من حقها أن ترث ، وأن تتزوج برغبتها ؛ فتحقق لها الكثير من الحقوق التي لم تنلها المرأة في العالم إلاَّ في النصف الأخير من القرن العشرين .

- أقام بين الناس ضرباً من العدالة الاجتماعية ونهاهم عن السخرية، بأي فرد مهما صغر شأنه بينهم ، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ ﴾ [6]

---

(١) الأنفال : ٤٦ ، (٢) الإسراء : ٣٣ ، (٣) النساء : ٩٣ ، (٤) البقرة : ٢٢٨ ، (٥) النساء : ١٩ ، (٦) الحجرات : ١١

وفرض للفقير حقًّا في مال الغني قال تعالى: ﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩ ﴾ (١)

وحرم عليهم الربا ونهاهم عنه قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ ﴾ (٢)

– فاختفت من حياتهم المرابا ة التي كانت تثقل كاهل المديْن ، وتؤدي إلى استعباده، واجتنبوا مايورث بينهم الضغائن ،وساد نوع من التكافل الاجتماعي ضمن حياة كريمة للجميع .

٣ – الحياة السياسية :

رفد الإسلام الحياة السياسية للأمة الإسلامية بالقيم العظيمة التي تكفل إنسانية الإنسان ، ومن أبرز ها ما ياتي :

– جمع شتات الأمة تحت سلطة واحدة تحكمها تعاليم القرآن الكريم ، بعد أن كانت جماعات وأحزاباً متفرقة ، فعلا شأنها ، وقويت شوكتها ، قال تعالى :
﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ (٣)

– رفض الاستبداد في الحكم، قال تعالى:
﴿ وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴾ (٤)

– جعل أمر الحكم شورى بين المسلمين فلايحق لأي فرد أو سلالة أن تدّعي أحقيتها في الحكم ، أو تتوارثه ، قال تعالى : ﴿ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ﴾ (٥)

– جعل القصاص للحاكم ، وألزم المتخاصمين الاحتكام إلى الشرع والقائمين عليه قال تعالى:
﴿ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ٣٣ ﴾ (٦)

– فاختفت تلك الحماقات السائدة في العصر الجاهلي والتي يُمثِّلها الشاعر الجاهلي في قوله :

لايسألون أخاهم حين يندبهم للنائبات على ماقال برهانا

---

(١) الذاريات : ١٩ ، (٢) البقرة : ٢٧٨ ، (٣) آل عمران : ١٠٣ ، (٤) النساء ٥٨ ، (٥) الشورى : ٣٨ ، (٦) الإسراء : ٣٣ .

- وضع قوانين الرحمة في التعامل مع الأمم المغلوبة سلماً وحرباً ، فلاجور ولا غلوّ قال تعالى :
﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾ (١)
وأمر بالوفاء بالعهود والمواثيق ، وعدم نقضها ، قال تعالى :
﴿ فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ﴾ (٢)
- احترم حقوق الإنسان ومعتقداته ، فلا عدوان على عقائد الأمم ، قال تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (٣) ولكن تبيان للحق بالحسنى، قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ (٤) .
- وعلى ضوء تلك المفاهيم التي أرساها الإسلام في جميع نواحي الحياة ، لم تعد الأمة تمشي مكبة على وجهها - كما وصف القرآن حياة الجاهلين - بل أصبحت تمشي على هدىً وبصيرة من ربها ، هادية ومهتدية تنير للبشرية دروب الخير والسلام .

موقف الإسلام من الشعر

ساد الاعتقاد عند بعض الباحثين - وهم قلّة - أن الإسلام قد عادى الشعر وقائليه، فعزف الناس عن ذلك الفن الذي طالما استأثر باهتمامهم وحبهم، فكسدت تجارته ، وخبت جذوته ، وصغر شأنه . وبنوا اعتقادهم هذا على الآتي :
١- ما جاء في سورة الشعراء في قوله تعالى :
﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) ﴾ (٥)
وأيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ﴾ (٦)
وقوله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ﴾ (٧)

---
(١) النحل : ١٢٦ ، (٢) التوبة : ٣ ، (٣) البقرة: ٢٥٦ ، (٤) النحل: ١٢٥ . (٥) الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٦، (٦) يس : ٦٩ ، (٧) الحاقة : ٤١ .

٢ – ماجاء في حديث رُوي عن النبي محمد ﷺ يقول فيه: « **لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلئ شعراً** » .

٣ – هجا ء بعض الشعراء الجاهليين للدين الإسلامي ورسوله المصطفى ، أمثال : (عبد الله الزبعري – كعب بن زهير – أبي سفيان بن الحارث) .

٤ – مضامين الشعر التي تحتوي على الهجاء المقذع ،الذي يورث الضغاين والأحقاد ، والقول الفاحش الذي يثير الشهوات، كونها تتعارض مع قيم الدين الحنيف .

● وقد اجتهد الدارسون والباحثون في إبطال هذه الاستدلالات نافين معاداة الإسلام للشعر ، واستندوا على الحقائق الآتية :

١– الآيات التي وردت لم يُقصد بها إدانة الشعراء جميعاً بل استثنت المؤمنين منهم في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [١] .

كما أن الآيات الآخرى التي استشهد بها على معاداة الإسلام للشعر ، لم تذم الشعر ، ولم تمدحه ، ولكنها نفت صفة الشعر عن الرسول ، كما نفت صفة الشعر عن القرآن الكريم كونه وحياً يوحى – من عليم قدير – ليس بشعر ولا بنثر ولا سجع كهان أوغير ذلك من قول البشر .

٢ – الحديث السابق قاله النبي محمدﷺ في الشعراء الذين يسخِّرون شعرهم فيما يتعارض مع الدين ، وفي الشعراء الخصوم الذين هجوا الإسلام ورسوله، والدليل على ذلك مارُوي عن الرسولﷺ في قوله : « **إن من البيان لسحرا، وإن من الشعر لحكمة** » .

٣– اتخذ الرسول الشعر سلاحاً ماضياً ضد خصوم الدعوة الإسلامية ، وتجلَّى ذلك في قوله لحسان بن ثابت : « **اهجهم وروح القدس معك** » ؛حيث كان حسان ، ومعه عبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك ينشدون الشعر ، ويذودون به عن الإسلام ورسوله، ومن ذلك قول عبد الله بن رواحة :

عصيتم رسول الله أُفٍّ لدينكم   **وأمركم السوء الذي كان غاويا**

وقول كعب بن مالك :

ونردي اللات والعزى ودًّا   **ونسلبها القلائد والشنوفا** [٣] .

(١) الشعراء : ٢٢٧ . (٢) الشنوفا : جمع شَنف وهو القُرْطُ .

٤– استحسان النبي محمد ﷺ قصيدة كعب بن زهير التي ألقاها في مسجده، والتي مطلعها :

بانت سعادُ فقلبي اليوم متبول   متيَّم إثرها لم يفد مكبولُ

وفيها مدح الرسول ، واعتذر له عمّا بلغه من هجاء، فقبل الرسول اعتذاره ، وخلع عليه بردته الشريفة.

٥ – تشجيع الخلفاء الراشدين الشعر ، والحثُّ على تعلمه ، ومن ذلك ما أوصى به الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – عامله على البصرة بتعليم الناس الشعر ، وقوله : « إن الشعر يدل على معاني الأخلاق ، وصواب الرأي ، ومعرفة الأنساب » .

● مما سبق يتّضح أن الإسلام لم يتخذ موقفاً معادياً من الشعر ، بل من أولئك الشعراء ، الذين هجوا الإسلام ورسوله وصدوا عن سبيل الله ، والذين تضمن شعرهم هدم القيم الحميدة ولَمْزَ الأعراض.

ولقد أسهم الإسلام في فتح آفاقٍ واسعة لتطور الشعر وازدهاره ، وتعدد أغراضه، وهذا ماتؤكده كتب التاريخ التي حوت تراثاً ضخماً من القصائد والمقطوعات الشعرية .

إلاَّ أن بعض الباحثين يرون أن الشعر في صدر الإسلام قلَّ إنتاجه ، وضعف مستواه الفني بعض الشيء ، ليس لمعاداة الإسلام له ، ولكن للتصورات الجديدة التي أتت بها الدعوة الإسلامية ، فانشغل الناس بها ، وتتمثل في الآتي :

١– الانبهار بلغة القرآن الكريم وروعة أسلوبه ، والانشغال بألفاظه ومعانيه التي تخاطب العقل ، وتمس الوجدان بأصدق الانفعالات وأكرمها ، فظل العرب يتابعون هذا الحدث العظيم ، فحوّلهم ذلك عن الشعر بعض الوقت .

٢– انشغال المسلمين بالفتوحات وأخبار الأمم التي عاد مصيرها إليهم .

٣– القيود التي فرضها الإسلام على الشعر ، كتجنب الهجاء المقذع ، والغزل الفاحش والمبالغة في المفاخرة بالأنساب جعلت الشاعر حديث الإسلام يجد صعوبة بالغة في الملاءمة بينها وبين القيم الإسلامية فأثر ذلك على غزارة إنتاجه والمستوى الفني لشعره إلى حين.

أ – من أثر القرآن في اللغة

استقبلت أمة العرب هذا الكتاب المنزل من العلي الحكيم ، فأبهرها أسلوبه الممتع الذي يأخذ بمجامع القلوب ، فتفاعلت معه ، وماكان لها ذلك لولا أنها تتمتع بحس لغوي رفيع ، وبقدر كافٍ من بلاغة القول ، يجعلها أهلاً لمعرفته والتعامل مع آياته المحكمات، فانطبعت الأمة بطابعه اللغوي المعجز، وأخذ كتابها وشعراؤها يصوغون إنتاجاتهم الأدبية مهتدين بديباجته الكريمة ، فتوسعت مداركهم ، وصقلت مواهبهم ، فإذاهم يبدعون ضروباً من فنون الشعر والنثر فأصبح كتاب الله معجمهم الأدبي ، الذي يسيرون على هديه ، مهما اختلفت أقطارهم ، أوتباعدت أمصارهم ، واستفادت لغة العرب من فيضه ومعينه الغزير العديد من الفوائد، منها على سبيل المثال لا الحصر :

١– حفظ العربية من الضياع ووحّدها وجعلها لغة حيَّة خالدة .

٢– اشتقاق علوم كثيرة من هديه ، كعلم القراءات وعلم التفسير وأسباب النزول والنحو والإعراب وعلوم البلاغة وعلم الفقه وأصوله .

٣– أمدَّ اللغة بالعديد من المفردات والمعاني كالفرقان والشرك والنفاق والصوم والصلاة والزكاة وغير ذلك من الألفاظ والمعاني التي لاعهد للعرب بها .

ب – القرآن الكريم وأثره في الشعر والنثر

القرآن الكريم كتاب الله أنزله على رسوله الكريم ليبينه للناس .حوى بين دفتيه (١١٤) سورة منها مانزل في مكة المكرمة ، ومنها مانزل في المدينة المنورة.

تميزت معظم السور المكية، بالقصر ، واشتملت موضوعاتها على العقيدة وقصص الأمم السابقة، بينما تميزت السور المدنية بالطول، ويغلب عليها التشريع. وقد شمل القرآن الكريم إعجاز الكلم ، وبلاغة اللفظ ، ودقة المعنى ، وروعة الأسلوب، وجزالته وعذوبته ، مع وضوح العبارة واستيفائها لمعانيها ، فهو ليس بشعر موزون ، ولا سجع مقفى ، وإنما هو نمط معجز ببيانه وبلاغته سواء عند تحدثه عن الكون والحياة ، أو عند سرده لقصص الأولين ، أوحين يُشرِّع للناس ماينظم حياتهم ، أوحين يضرب الأمثال ، فهو في كل ذلك إعجاز لايُناظره شيء ، ولايقدر أحد على الإتيان بمثله .

قال تعالى :

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ (١)

وقد كان لهذا القرآن الكريم أثره البالغ في لغة الشعراء والخطباء، وأساليبهم، ومضامين إنتاجهم الأدبي.

فقد تأثروا بألفاظ القرآن مثل: الإيمان – النفاق – الكفر – الصلاة – الزكاة.. إلخ، كذلك تأثر الشعر والنثر بمضامين القرآن الكريم المختلفة مثل: الجهاد، والدعوة، ومقارعة خصوم الإسلام، ويوم الحساب، والجنة والنار ... وغير ذلك.

وسنورد على ذلك أمثلة من النثر والشعر في صدر الإسلام ونبيّن كيفية تأثير النص القرآني فيهما قيماً وسلوكا .

أولاً – النثر في صدر الإسلام

حظي النثر في صدر الإسلام بعناية فائقة، ونما نموًّا متسارعاً، فتعددت أغراضه واتسعت معانيه، واتسم بالجزالة والقوة، وحُسن السبك في فترة وجيزة خلافاً لنظيره الشعر الذي خبت جذوته بعض الشيء. ويعود ذلك لكون النثر أقدر من الشعر في إيصال المقاصد والمعاني المتضمنة للتطورات الجديدة للدين الإسلامي، فهو لا يقتصر على مخاطبة الوجدان فقط – كماهو الحال في الشعر – ولكنّه يسعى إلى التأثير في العقول من خلال اعتماده على الحجج والبراهين القادرة على شرح تعاليم الدين الجديد، وإظهار مواقع القوة فيها، ومواقع الضعف عند خصومها، ثم يتخطَّى ذلك ليحرك العاطفة، ويذكِّر بالمُثُلِ العليا من خلال استخدامه الألفاظ والتراكيب المختارة بحرية تامة، لاتقيدها قافية، ولا ترتهن لإيقاع معين بذاته إلاَّ لماما، وتعد الخطابة والكتابة اللونين المكونين للفن النثري في صدر الإسلام، وسنتناول كلاً منهما على حدة .

١- الخطابة :

كانت الخطابة أكثر استخداماً وفاعلية من غيرها لنشر الدين الإسلامي، وتوقير مكانته في قلوب المسلمين ،لأنَّها تخاطب الجموع مباشرة ، وتذْكي شعلة الدين في نفوسهم.

(١) الإسراء آية : ٨٨ .

- فقد اهتم بها الإسلام ، وكان الرسول محمد ﷺ أبلغ البلغاء وأفصح الخطباء . وبرز نخبة من المسلمين ممن برعوا في هذا الفن منهم : الإمام علي بن أبي طالب، والخليفتان أبو بكر وعمر بن الخطاب، وغيرهم من الصحابة – رضي الله عنهم جميعاً . كما أنها شهدت تطوراً في أغراضها ومعانيها ، وأخذت ميادينها تتسع باتساع السيادة على الشعوب المفتوحة ، وبتشعّب الأحداث فيما يتصل بالجهاد والحروب، وبالمناظرات السياسية المتعارضة التي شهدتها الساحة الإسلامية .
- حافظت الخطابة في صدر الإسلام في أسلوبها على النمط الجاهلي ،كالقِصَر والإيجاز في الجمل ، إضافة إلى الاقتباس من الأمثال والشعر والحِكَم، ولكنها تطورت في نواحٍ كثيرة عن سابقتها الجاهلية ومن أهم خصائصها :

١– تحررت من السجع الذي كانت تتصف به في الجاهلية إلاَّ ماجاء عفو الخاطر .

٢– اختفى فيها تعدد الموضوعات غير المترابطة فأصبحت تتناول موضوعاً واحداً مرتبطاً بما يتفرع عنه من قضايا .

٣ – تأثرها بالقرآن الكريم جعلها أفصح ألفاظاً ، وأسهل تركيباً ، وأعذب تعبيراً، واتسعت فيها دائرة الألفاظ والمعاني .

٤ – استفادت من القرآن الكريم في تعدد أساليبها وأغراضها التي تتناولها من ترغيب، وترهيب ، ومن وصف وتشريع ، ومن تقديم للبراهين والحجج .

٥ – تخلّصت من الموضوعات التي نبذها الإسلام كالتفاخر المبالغ فيه ، وغيرها من العادات الجاهلية .

وبانتشار الخطابة وتوسعها أصبح لها أعراف تتقيد بها كالتحميد في بداية الخطبة ، والاقتباس من القرآن الكريم في طياتها والصلاة على النبي محمدﷺ .

وكانت كل خطبة تخلو من التحميدتسمّى (بالبتراء) وكل خطبة تخلو من الاقتباس من القرآن ، أومن الصلاة على الرسول (بالشوهاء) ، وقد نهج الرسول ﷺ هذا الأسلوب؛ فامتازت خطبهُ بالقوة والجزالة ، وكان أبلغ من تفوَّه بين العرب خطيباً حيث حوى لسانه جوامع الكلم وفصاحة البيان التي ملك بها القلوب، ولباب العقول، ومن خطبته المعروفة (بخطبة الوداع) نقتبس منها ما يلي :

« **الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لاشريك له، وأن محمداً عبده ورسوله . . .**

أيها الناس إن ربكم واحد ، وإنْ أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم « إن الله عليم خبير » ليس لعربي على عجمي فضل إلاَّ بالتقوى» .

٢ – الكتابة :

حث القرآن الكريم على استخدام الكتابة في المعاملات والديون وغيرهما، وجعل النبي محمدﷺ فداء بعض أسرى قريش – في بدر – تعليمهم الكتابة لعشرة من صبية المدينة ، كما كانت الكتابة وسيلة لنشر القرآن وتعلُّمه، وقد استخدمها الرسول ﷺ في مراسلته إلى ملوك ورؤساء البلدان المجاورة يدعوهم فيها إلى الإسلام ، واستخدمها المسلمون في كتابة العهود والمواثيق مع حلفائهم وخصومهم ، كما استخدمها الخلفاء الراشدون لإيصال أوامرهم ووصاياهم إلى ولاتهم في الأمصار المختلفة . وقد حظي هذا الفن النثري باهتمام الدولة الإسلامية ، واكتسب جزالته من فيض القرآن الكريم ومعينه الذي لاينضب ، فارتقى شأنه، واتسعت مشاربه وفقاً للحاجات التي يتطلبها العصر .

وقد قدِّم النثر على الشعر – كما رأيت – في عصرصدر الإسلام ، نظراً لماياتي :

– يحتوي هذا العصر على نصوص قرآنية كريمة ، وأحاديث نبوية شريفة .

– لما للقرآن الكريم من أثر كبير في فنون القول من شعر ونثر .

أسئلة وتدريبات

١ – عدد بعض التحولات التي أحدثها الإسلام في الحياة الاجتماعية ، مع الدليل .

٢ – ما الجوانب التي مست الحياة السياسية في أمة العرب بعد ظهورالإسلام ؟

٣ – كيف تناول الإسلام المفاهيم الآتية ، اذكر ذلك مع الدليل القرآني :

(وجود الإنسان وبعثه – عبادة الأوثان والشرك – التعامل مع الطبيعة) ؟

٤ – ما الأدلة التي استند عليها القائلون بمعاداة الإسلام الشعر ؟

٥ – ما موقف الإسلام من الشعر؟

٦ – لم قل إنتاج الشعر في صدر الإسلام ، وضعف مستواه الفني ؟

٧ – ماذا أفادت اللغة العربية من روعة الأسلوب القرآني ؟

٨ – ما العوامل التي جعلت أمة العرب تتفاعل مع القرآن الكريم وتفهم معانيه ؟

٩ – اذكر خصائص الخطابة في صدر الإسلام .

١٠– لِمَ حث الإسلام على تعلم الكتابة ؟

١١– ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخطأ .

– تسمي العرب الخطبة التي تخلو من التحميد بالشوهاء. ( )

– كثر السجع في الخطبة الإسلامية في صدر الإسلام . ( )

– قال النبي محمد ﷺ لكعب بن زهير :(اهجهم وروح القدس معك). ( )

١٢– اختر الإجابة الصحيحة من بين الأقواس فيما يأتي:

– خلع الرسول الكريم بردته الشريفة على (حسان بن ثابت / كعب بن زهير / عبدالله بن رواحة) .

– الإسلام : (حطَّ من قدر الشعر / عادى الشعر / فتح أفاقاً واسعة للشعر) .

– انبهر العرب بالقرآن الكريم لكونهم : (أميين يجهلون بلاغة العربية / يتمتعون بحسٍ لغوي رفيع / اعتبروه كسجع الكهان) .

تفكُّر وتوحيد

جو النص :

القاعدة الصُّلبة ، والأساس المكين الذي يقوم عليه بناء الإسلام في حياة الإنسان هي العقيدة ، أي الاعتقاد الجازم المطلق بأن الله هو خالق الكون والحياة والأحياء ، وهو المتصرّف في خلقه وحدهُ كيف يشاء . والأدلة على ذلك مبثوثة مرئية تتملاّها الأبصار والبصائر صباح مساء ، في كل شيء من المخلوقات .

وفي كلّ شيء له آية　　　　تدل على أنه الواحدُ

فإذا ما تمخضت عن رؤية الأدلة عقيدة راسخة في قلب الإنسان ، انفتحت أمامه آفاق المعارف الوجدانية ، وانكشفت له حقائق الأمور، واستطاع أن يقيم حياته كلها : منطلقاً وسلوكاً وغايةً على تلك القاعدة. ونص الآيات القرآنية الآتية يسير في هذا الاتجاه.

النص :

قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾
أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ
مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ
ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ
ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ
خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ
وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾
أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟
بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [١] .　　صدق الله العظيم

---

(١) سورة النمل ، الآيات من (٥٩ – ٦٤) .

معاني المفردات والتراكيب اللغوية :

الحمد : الثناء والمدح ، **سلام** : أمن وطمأنينة ، **اصطفى** :اختار ، **يشركون** :يجعلون مع الله شريكاً في العبادة ، ذات **بهجة** : ذات خضرة ونضرة وجمال ، **يعدلون** : يساوون مع الله غيره ، **قراراً** : مستقراً ، **خلالها** : شعابها وأوديتها من كل اتجاه ، **حاجزاً** : فاصلاً من الماء ، **يكشف** : يدفع ويصرف ، **خلفاء الأرض** : مكلفين بعمارتها خلفاً بعد خلف ، **تذكرون** : تتعظون ، **يهديكم** : يدلكم ويلهمكم ، **بُشْراً** : مبشِّرات بالغيث ، **رحمته** : المراد به المطر ، **تعالى** : تعظَّم وتمجّد ، **يبدئ** : ينشئ ، **يعيده** : كما كان أول مرة ، **يرزقكم من السماء** : بالغيث، **والأرض** : بالنبات والثمار ، **هاتوا** : أبرزوا وأظهروا ، **برهانكم** : حجتكم على ذلك .

إضـــــاءة :

يوجِّه سبحانه وتعالى الخطاب إلى نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم في مطلع الآية الأولى بقوله : قل يامحمّد : الثناء بالمحامد كلها ، وصفات الكمال جميعها لله وحده على أفضاله وإنعامه ، والأمان والسكينة تتنزّل على أنبيائه الذين اختارهم لحمل رسالته إلى خلقه . ثم خُتمت الآية بسؤال مفاده : هل الخالق المبدع الحكيم خير ، أم الأصنام التي يعبدها المشركون ، وهي لاتسمع ولاتستجيب ؟

ثم تتوالى الأسئلة في الآية التالية : من الذي أوجد السماوات بعلوِّها وعظمتها ونجومها ؟ ومن الذي أنشأ الأرض بمافيها من مخلوقات وإمكانات ؟ ومن الذي أنزل للبشر غيثاً من السماء ، وأنبت به البساتين والحدائق النضرة الجميلة ، التي يعجز أيّ مخلوق أن ينبت شجرها ؟ هل مع الله معبود غيره ؟ بل هم يساوون مع الله غيره

ثم يستمر التساؤل : من ذلَّل الأرض وجعلها مستقراً للمعاش ؟ وأوجد فيها أنهاراً تتخللها من كل اتجاهاتها ؟ ومن الذي جعل بين البحر المالح والبحر العذب حاجزاً من الماءٍ ، بحيث لايطغى أحدهما على الآخر ، ولايؤثر فيه ؟ هل مع الله معبود غيره ؟ إن أكثر الناس يجهلون ربهم .

وتتواصل الأسئلة : من الذي يستجيب دعاء المظلومين المتضررين ، فيكشف

عنهم ضرهم ؟ ومن الذي يجعلكم خلفاء في الأرض تستثمرون خيراتها ، وتسخرون مدَّخراتها في مصالحكم؟ هل مع الله معبود غيره؟ إنكم تنسون، وقليلاً ماتتذكرون.

ويمضي في الأسئلة : من الذي يدلكم ويرشدكم إلى مبتغاكم واتجاهاتكم في ظلمات البراري والبحار؟ ومن الذي يرسل قُبيل الغيث رياحاً تبشّر بنزول المطر؟ هل مع الله معبود غيره ؟ تنزه وتقدست أسماؤه وصفاته عن شركهم .

وفي الآية الأخيرة تستمر الأسئلة : من الذي يبدأ الخلق على غير مثال سبق ؟ ومن يعيده مرة أخرى بعد فنائه ؟ ومن الذي يرزقكم من السماء بالأمطار ؟ ومن الأرض بالنبات والثمار ؟ هل مع الله معبود غيره ؟ أظهروا أدلتكم وحججكم إن كنتم صادقين فيما تدَّعون .

تحليل وتذوق

في مفتتح هذا النصّ المكوّن من ستِّ آيات قرآنية يأمر الله عبده ونبيّه محمداً – عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم – أن يبتدئها بالحمد والثناء المستحق لله ، والسلام على أنبيائه المصطفين ، كمقدمة لأمور مهمّة ستتحدّث عنها الآيات . وقد صار هذا الأفتتاح سنة متبعة يبتدئ بها المسلمون خطبهم ومواعظهم وشؤون حياتهم ذات الأهمية ، ثم يأتي في نهاية الآية الأولى سؤال بقوله: « آلله خيرٌ أمايشركون » وهو سؤال يقصد به التهكم والسخرية من عقول المشركين الذين لايفرقون بين الخالق والمخلوق ، ولمثل هذا السؤال الخطير الذي لايقدم جواباً للمخاطب تأثير إيجابي على العقول والمشاعر ؛ حيث إنه يفتح المجال للمقارنة واستنتاج الجواب ، ولا يُلزمها بخيار معيّن ، لأن النفس جُبلت على عدم الاقتناع بالإلزام في معظم القضايا ، وهذا الأسلوب استخدمه القرآن الكريم كثيراً في مجالات الفكر ، والعقيدة مثل قوله :

﴿ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ (١) .

ومثل : ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (٢)،

ومثل قوله حكاية عن الرسول وهويحاور المدعويين:

﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الواقعة آية: ٥٩ ، (٢) ن آية : ٣٥ ، (٣) سبأ آية : ٢٤ .

وهو أسلوب مقنع وطريقة مؤثرة ، حبذا لو اتخذنا منها نموذجاً في حواراتنا !

ثم يأتي افتتاح الآيات الخمس التالية بصيغة السؤال في مطلع كل منها ، وسؤال آخر تتضمّنه الآيات قبل نهاية كل منها كذلك ، إضافة إلى ماختمت به كل آية من عبارة مناسبة لمضمونها ، ولذلك كله دلالات بلاغية نتلمس مظاهرها وإيحاءاتها فيما يأتي :

١– تكرار السؤال (أمّن) في مطالع الآيات الخمس مع اختلاف مضمون السؤال في كل منها ، وتوحّد الإجابة الصحيحة المفهومة منها .

وفي هذا الأسلوب إحراج لعقول المخاطبين ، لأن كثرة الأسئلة بلفظ واحد، مع اختلاف مضمون السؤال في كل منها ، وعجز المخاطب أن يجيب عن واحد منها حسب ادعائه، من شأنه أن يحرج العقول ويؤنبّها كيما تراجع نفسها ، وتعود إلى صوابها.

٢– في الآيات تكرر السؤال الإنكاري في قوله :﴿ **أإله مع الله** ﴾ أي ليس هناك معبود بحقٍ غيره سبحانه وحده ، فالله هو الخالق لكل شيء ، دون شريك ، فكيف يكون معه معبود غيره ؟! فالسؤال إضافة إلى أنه يفيد إنكار أي معبود مع الله فإن فيه تقريباً للعقول إلى الحق ، وتقويماً لاعوجاجها بطريقة غير مباشرة، لأنه يلفت نظرها ويرشدها إلى الإجابة الصحيحة دون أن يحدِّدها ، وفي تكراره جرعات علاجية نفسية تحفز صاحبها إلى الصواب في الفكر والعمل .

٣– ختمت الآيات الخمس بعبارات فيها نوع من المناسبة والانسجام مع مضمون كل منها من جهة، وفيها تدرّج وترابط من جهة ثانية، فخلق السماوات والأرض، وإنبات الحدائق والأشجار في الآية الثانية ظاهر بحيث لاينكره أو يتجاهله إلا إنسان معاند لا يفرق بين الخالق والمخلوق، فناسب أن تختم الآية بقوله: ﴿ **بل هم قوم يعدلون** ﴾.

– وفي الآية التفات في الخطاب في قوله : «**أنبتنا**» بعد قوله :﴿ **أنزل لكم** ﴾ حيث جاء بضمير المتكلم بعد ضمير الغائب في سياق واحد، وهو يفيد التنبيه للقارئ والسامع .

– وجَعْلُ الأرض قراراً ، وجَعْلُ الأنهار تتخللها ، وجَعْلُ الحاجز المائي بين البحرين فيه دقّة، ويحتاج إلى بحث وتأمل ، ولذلك ناسب أن تختم الآية بقوله : ﴿ **بل أكثرهم لايعلمون** ﴾ وفي ذكر الحاجز إشارة إلى الإعجاز العلمي لهذا القرآن الكريم؛ فالحاجز الذي يفصل بين البحرين لم يُكشف إلا في العصر الحديث بواسطة أجهزة دقيقة ، وضّحت للباحثين أن هناك منطقة مائية تفصل

بين المالح والعـذب، وتحجز كلا منهما أن يطغى على الآخر، أو يذوب فيه ، وأن هذا الماء في الحاجز له صفات ثابتة تختلف عن ماء البحرين المجاورين له، وذلك مايزيد المؤمن إيمانا وثقة بدينه .

- وفي إجابة المضطر، وكشف السوء عنه، والحكمة من جعل الإنسان خليفة في الأرض مايدعو إلى العظة والتأمل، فناسب أن تُختم الآية بقوله: ﴿ **قليلاً ماتذكرون** ﴾.
- والهداية في البر والبحر، وإرسال الرياح بين يدي المطر فيه تعريض بمن يستمطر بالمخلوقين ، فناسب أن ينزِّه الله نفسه عن هذا الشرك بقوله: ﴿ **تعالى الله عما يشركون** ﴾.
- أما بَدْءُ الخلق ، وإعادته ، وتدبير الرزق من السماء والأرض ، فواضح للعيان ، إذ كل إنسان لايفكر إلا في أجله ورزقه ، وهذان الأمران بيد الله وحده ، يتصرف فيهما كيف يشاء ، ونحن نشاهد ونلمس ذلك يومياً ، فناسب أن تختم الآية بقوله : ﴿ **قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** ﴾ أي هاتوا أدلتكم على خلاف ماذكر.
- أمامن حيث ترابط معاني العبارات الواردة آخر الآيات، فإن تسوية المخلوقين بالخالق تدل على العناد والجهل، والجهلُ ينتج عن عدم التذكّر والاتعاظ ، وعدمُ التذكّر يعدّ ناتجاً عن الإشراك بالله، والإشراكُ بالله يدل على الجهل به سبحانه.
- وهناك ألفاظ وردت في الآيات فيها مقابلة مثل المقابلة بين : (السماء - الأرض) وبين (يجيب - دعاه) وبين (يبدأ - يعيد) وهي توضح المعنى وتبرزه أكثر.

أسئلة وتدريبات

١- بمَ أمر الله رسوله في الآية الأولى من النصّ ؟

٢- قال تعالى « **آللّه خير أما يشركون** » ما المراد بالاستفهام في هذه الآية ؟

٣- ما المراد بالبحرين في النص ؟ وممّ يتكون الحاجز بينهما ؟

٤- علام يدل تكرار الأستفهام في بداية الآيات الخمس ؟

٥- لمَ لايستطيع المشركون أن يأتوا ببرهان على دعواهم ؟

٦- ماعلاقة الرزق بالسماء وبالأرض ؟

٧ – من هم خلفاء الأرض ؟

٨ – ما العلاقة النحوية بين الأفعال : (**يشركون – يعدلون – تذكرون**) ؟

٩ – اشرح قوله تعالى : « **ومن يرسل الرياح بشْراً بين يدي رحمته** » ؟

١٠– علام يدل تكرار السؤال « **أإله مع الله** » في الآيات الخمس ؟

١١– اختر الإجابة المناسبة من بين الأقواس :

- معنى كلمة اصطفى : (اختار – كلف – جعل) .
- معنى كلمة المضطر : (المبْعَد – المكره – المغضب) .
- ضد كلمة بهجة : (سكينة – رتابة – كآبة).
- ضد كلمة قراراً : (اضطرابا – انتحابا – اكتئابا) .
- نوع المشتّق (حاجز) : (اسم مفعول – اسم فاعل – اسم هيئة) .
- وزن الفعل (دعا) : (فعا – فاعل – فعل) .
- نوع الاسم (مَنْ) الوارد في الآيات : (اسم شرط – اسم موصول – اسم استفهام) .

١٢– لمَ لم تَرِدِ الإجابات عن الأسئلة الواردة في الآيات الكريمة ؟

١٣– كيف يهدي الله البشر في ظلمات البرِّ والبحر ؟

١٤– ما الفرق بين العبارتين : (هم في المال يعدلون – هم بالحق يعدلون) ؟

قِـيَم أخلاقـيّـة

جــو الــنــص :

من الآفاق البعيدة التي يريد القرآن أن يرفع المجتمع الإسلامي إلى مستواها هو بناء كيان إنساني متماسك قوي ، ليكون أنموذجاً تقتدي به الأمم ، ومنارة يهتدي بها السائرون في هذه الحياة ، وأسلوبا سلوكيا لدعوة الآخرين إلى التمتع بالعيش في ظلال هذ الدين العظيم . ولايمكن أن يقوم هذا البناء إلا إذا كانت لبناته أسست على مجموعة من القيم الفاضلة ، والمبادئ السامية من التوحيد والتوحُّد، والطهر والنقاء ، والحب والإخاء ، والتعاون ، والصدق ، والعدل ، وذلك ماتوضّحه الآيات الكريمة في هذا النص .

النـــص :

قال تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ
وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ
مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ
بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ
ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا
السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ *.

صدق الله العظيم

معاني المفردات والتراكيب اللغوية :

أتل : أقرأ ، **إحساناً** : طاعة وعناية واحتراماً ، **إملاق** : فقر
لاتقربوا : لاتقتربوا ، **الفواحش** : الأعمال القبيحة ، **إلا بالحق** : مثل القصاص.
وصّاكم : ذكرّكم وألزمكم ، **بالتي هي أحسن** : بالقدر المعقول الذي يكون في

* الأنعام ، الآيات من (١٥١ – ١٥٣)

مصلحته وتنمية ماله ، **أشدّه** : قوته وهو البلوغ ، **بالقسط** : بالعدل ، **وسعها** : ماتقدر عليه ، **عهد الله** : مايبرمه الإنسان من عهود مع الآخرين ، **اتّبعوه** : اسلكوا طريقه ، **السُّبل** : الطرق ، والمرادبها البدع والمذاهب والأديان المنحرفة .

إضـــــاءة :

في هذه الآيات الكريمة يأمر الله تعالى رسوله محمداً ﷺ أن يوضح مجموعة الأعمال التي حرّم الله على الناس فعلها ، سواء كانت متعلقةً بالفعل أو الترك ، لأن الأمر بفعل شيء هو نهي عن ضدِّه، فالأمر بطاعة الوالدين نهي عن عصيانهما ، فيقول له: قل هلموا إليَّ، واسمعوا مني ما أقصّه عليكم من المحرمات التي حرمها ربكم عليكم.

ومنها : ألا تجعلوا مع الله شريكا في العبادة ، وأن تحسنوا إلى والديكم بالطاعة والرعاية والاحترام ، وألا تقتلوا أولادكم خشية الفقر ، فالله هو الذي يرزق الجميع ، ولاتقربوا الأعمال السيئة التي لاتليق بكم ، سواء الظاهر منها أو الخافي ، ولاتقتلوا النفس المعصومة التي حرم الله قتلها إلا في الحالات الثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والتارك لدينه بعد استتابته، تلك الأمور ألزمكم الله بها لعلكم تعقلون أهميتها في حياتكم ، ونتائج تطبيقاتها الطيبة عليكم . ولاتقربوا مال اليتيم قصد العبث به ، وتضييعه إلا إذا كان الإنفاق يساعد على حفظ ماله وتنميته فليكن بالطرق المعقولة، حتّى يبلغ اليتيم الحلم فيدفع إليه ماله ، ليتحمل مسؤوليته . وعليكم الوفاء في المكاييل والموازين بالعدل لكم وعليكم ، لايكلف الله نفساً إلاّ ماتقدر على حمله ، وإذا حكمتم بين الناس فاحكموا بالعدل ، ولو كان أحد المتخاصمين قريباً لكم ، وأوفوا بالعهود والمواثيق التي قطعتموها مع الآخرين ، تلك الأمور ألزمكم الله بحفظها ، وحثكم على الالتزام بها لعلكم تعتبرون بما يحصل من نتائجها الطيبة .

وأن هذا الدين هو الطريق المستقيم الذي يوصِّل إلى رضا الله والجنة ، فاسلكوا سبيله ، ولا تتبعوا الطرق المختلفة ، من المذاهب والأديان والفلسفات المنحرفة ،لأنها ستبعدكم عن دينكم ، وتفرق كلمتكم ، هذا الأمر العظيم قد أمركم الله بالتزامه لعلكم ترتقون إلى درجة المتقين ، فتفوزون بخيري الدنيا والآخرة .

تحليل وتذوق

هذه الوصايا التي تضمَّنتَها الآيات القرآنية انطلقت من تصحيح العقيدة، وانتهت بوجوب التزام المنهج الإسلامي طريقاً وحيداً للنجاة . وقد عرضتها الآيات. القرآنية عرضاً سَهْلَ المعاني بعيد المقاصد ، غزير الدلالات شأن القرآن في طريقة عرضه للأوامر والنواهي التشريعية . وسنتأمل بعض الجوانب البلاغية في هذه الآيات .

- في الآية الأولى جاءت كلمة (شيئاً) نكرة لتفيد تحريم عموم أنواع الشرك كبيره وصغيره، ظاهره وخفيّه، للدلالة على خطورة هذه المعصية (الإشراك بالله) لاسيما أن القرآن قد بيّن خطورتها وبشاعتها بأن حرّم الله على أصحابها الجنة في آية أخرى بقوله: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾ (١)، فالشرك بالله أكبر الكبائر يجب الابتعاد عنه ، وتجنّب صغيره وكبيره . وفيها تقديم ضمير الآباء على ضمير الأبناء في قوله تعالى : « **نحن نرزقكم وإياهم** » ليُطمئن الآباء على رزقهم أولاً ، ثم رزق أولادهم ثانياً ، والتقديم في الذكر يوحي بالأهمية في الدلالة . – وفي قوله : « **ولاتقربو الفواحش** » « **ولاتقربوا مال اليتيم** » ورد النهي عن الاقتراب من عمل الفواحش وأكل مال اليتيم ، وذلك أبلغ من النهي عن عمل الفواحش وأكل مال اليتيم ، لأنّ الإنسان إذا انتهى عن مجرد الاقتراب ، كان انتهاؤه عن الفعل أولى . وفي قوله : « **ماظهرمنها ومابطن** » تقابل يدلّ على تحريم الفواحش الظاهرة والباطنة ، ويساعد في وضوح المعنى .
- وفي الآية الثانية جاءت كلمة (نفساً) نكرة لتفيد العموم أي أن الله لايحمِّل أي نفس إلا ماتقدر على حمله .
- وفي قوله : « **لا تتبعوا السُّبُل** » استعارة تصريحية ، حيث شبه المناهج والمذاهب والأديان المنحرفة بالسُّبُل المتعددة المتشعِّبة ، مع التصريح بذكر المشبه به .

ومن اللطائف الملحوظة في هذه الآية مجيء كلمة (سبيله) الذي يعني دين الإسلام – مفرداً ، وكلمة (السُّبُل) التي تعني الطرق المنحرفة – جمعاً ، للدلالة على أن الحق واحد ، والباطل متعدِّد .

---

(١) المائدة : ٧٢ .

أسئلة وتدريبات

١ – ما الذي أمر الله رسوله بتلاوته ؟

٢ – لِمَ لم يأمر الله الوالدين بالإحسان إلى أولادهما ؟

٣ – مادلالة التنكير في الكلمتين (شيئاً – نفساً) الواردتين في الآيات ؟

٤ – كيف تفهم الأمرين : (**وبالوالدين إحسانا – وبعهد الله أوفوا**) ضمن المحرمات في هذه الآيات ؟

٥ – أي التعبيرين أبلغ في قولنا : (لا تأكل مال اليتيم – لا تقرب مال اليتيم)؟ ولِمَ؟

٦ – استخرج من النص خمسة أساليب من أساليب النهي .

٧ – فسّر قوله تعالى : « **وإذا قلتم فاعدلوا ولوكان ذا قربى** » .

٨ – ماذا تفهم من تقديم ضمير الآباء على ضمير الأبناء في قوله : « **نحن نرزقكم وإياهم** » ؟

٩ – ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (X) مقابل العبارة الخطأ :

– لا يجوز قتل النفس البشرية مطلقاً . ( )

– يؤخذ من مال اليتيم مايساعد على حفظه وتنميته . ( )

– كلمة (سُبُل) جاءت جمعاً لتدل على تعدد المناهج المنحرفة . ( )

– الإسلام يحمّل النفس فوق طاقتها . ( )

– النهي عن الشرك لا يتناول جميع أنواعه . ( )

– الأمر بالوفاء في الكيل والوزن نهي عن التطفيف . ( )

– وجب اقتران جواب الشرط بالفاء في فعل الأمر (فاعدلوا) . ( )

١٠– إذا كان اتباع السبل يفرّق المسلمين ، فما الذي يجمعهم ؟

١١– اختر الكلمة المناسبة لما يقابلها من بين الأقواس :

– معنى كلمة (إملاق) : (فقر – إرهاق – همّ) .

– جاءت الكلمة (إحساناً) منصوبة لأنها : (مفعول به – اسم فعل أمر – مفعول لأجله) .

– ضد كلمة (مستقيما) : (موحشا – مضطرباً – معوجاً) .

– الفعل (لاتتّبعوا) : (منصوب – مجزوم – مرفوع) .

ديــن الفطرة

حديث شريف

جــو الــنــص :

الإسلام دين الله الخالد الذي يصلح لكل زمان ومكان ، والمطلوب من جميع المؤمنين به أن يطبقوه عبادة وسلوكا ومعاملة .

ولأن الله خلق الإنسان بقدرات محدودة ، وطبائع معيّنة من جهة ، وخلق الناس متفاوتين في تلك القدرات ، مختلفين في الطبائع من جهة ثانية ، فلابد أن تراعى هذه الجوانب الفطرية أثناء التطبيق ، حتى يحدث التوازن بين الأعمال ، وبين القدرات، وبين الحقوق وبين الواجبات ، ولذلك فقد جاء الدين الحنيف ، دين الفطرة البشرية ديناً وسطياً يتلاءم مع الفطرة ، في مفاهيمه ، وعقائده ، وعباداته ، ومعاملاته، دون إفراط ولاتفريط .

والأحاديث النبوية الشريفة جاءت مفسرة ومبينة لما في القرآن الكريم من المفاهيم والقيم والعقائد والتصورات والتشريعات . ونص الحديث النبوي الآتي يرشد إلى الوسطية ، ويحذر من الغلوّ .

الــنــص :

عن أبي هريرة رضي اللّهُ عنه – قالَ : قالَ رسولُ اللّه ﷺ :« إن هذا الدينَ متينٌ فأوغلوا فيه برفقٍ ، ولنْ يُشادَّ الدين أحَدٌ إلا غلبَهُ . فَسَدِّدوا ، وقاربُوا ، وأبْشرُوا ، واستعينوا بالغَدْوَةِ والرَّوْحَةِ وشيءٍ من الدُّلْجَةِ . القَصْدَ القَصْدَ تبلُغوا . إن المنْبَتَّ لا أرضاً قطعَ ، ولاظهراً أبْقى »※.

معاني المفردات والتراكيب اللغوية:

متين : قويّ واسع شامل ، **أوغلوا** : ادخلوا وطبِّقوا ، **برفق** : بقدر ماتستطيعون، **يُشَادَّ** : يجُاذب ويغالب ، **غلبه** : أعجزه ، **فسدِّدوا** : وفِّقوا ، **قاربوا** : وازنوا بين الحقوق والواجبات ، **الغدْوة** : سير أوّل النهار ، **الرَّوْحَة** : سير آخر النهار.
الدُّلْجة : سير آخر الليل ، **القَصْدَ** : الزموا الاقتصاد ، **تبلغوا** : تصلوا مبتغاكم،

※ رواه البخاري وغيره بألفاظ مختلفة ، كتاب رياض الصالحين للنووي ، ص.

المنبتّ : المنقطع بسبب السرعة ، **أرضاً** : مسافةً ، **ظهراً** : مايركب في السفر .

إضـــــاءة :

يقول عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم في هذا الحديث مامعناه :

إن دين الإسلام دين عظيم له مجالات تطبيقية واسعة ، وتكاليف تطوعية كثيرة، لايستطيع الإنسان أن يأتيِ بها كلها – إضافة إلى الفرائض – أو بالشكل المطلوب ، لأنها قد تشكّل ثقلاً يؤدّي به إلى الضعف ، أو الانقطاع ، ولذلك فالمطلوب الاعتدال في الفهم والعمل ، على قدر مايطيق الإنسان . ولو حاول شخص أن يغالب هذا الدين بإلزام نفسه فوق طاقتها ، فإنه سينهزم أمام الدين ، وتكاليفه الكثيرة ، وماعلى المسلم إلا أن يوازن ويوفّق بين واجبات الدين ونوافله ، وبين مطالب الدين ومطالب الحياة ، وبين العمل والقدرة عليه ، ويستعين على ذلك بتجديد النشاط ، والترويح عن النفس باستراحات مناسبة ، مثل المسافر الذي يستعين على قطع سفره بالسير أوّلَ النهار ، وآخرهُ ، وآخر الليل بعد أخذ قسط من الراحة قبل تلك الأوقات . فعلى المسلم أن يعتدل في فهمه وتطبيقه حتى يُكتَبَ له الثبات والاستمرارية دون تعثّر ، أو اضطراب ، أو انقطاع .

فإن المنقطع في وسط المسافة هو الذي جنى على نفسه بسبب سرعتة ، واستعجاله ، مما سبب إهلاك راحلته ، فلا هو وصل إلى غايته ، ولاهو أبقى على راحلته.

تحليل وتذوق

يوجه الحديث الشريف أبناء الإسلام إلى أهم قضية في مجال فهم الإسلام وتطبيقه ، وذلك هو الاعتدال والوسطية خوفاً على المجتمع الإسلامي من التصدّع ، أو الانزواء والضمور ، أو التفلت والتفريط ،كنتائج طبيعية للغلوّ والتشدّد؛ لأن الإسلام دين الوسطية قالى تعلى : **« وكذلك جعلناكم أمة وسطا »** (١) أيْ خياراً معتدلين يمقتون التشدد ، ويرفضون اللامبالاة .

والحديث النبوي هنا يعرض الفكرة بأساليب بلاغية جميلة يمكن أن نتلمّس بعضها كما يلي :

– كلمة (متين) جاءت لتصوّر الدين ومعانيه المجردة بشيء محسوس صُلْب قويّ لإيضاح مدى كثرة الطاعات التي أمربها الدين ، وحثّ عليها ، وأن الإنسان إذا

(١) البقرة : ١٢٣ .

بالغ فيها سيعجز عن حملها ، وهي صورة جاء ت بأسلوب الاستعارة المكنية.

- قوله : (فأوغلوا فيه برفق) فيه تشبيه لتطبيق الإسلام بالسير السريع ، وكأن الدين ظرف لهذا السير ، وكلمة (برفق) توحي بصعوبة السرعة ، فلابد من السير الهادئ المتزن ، وهذا التشبيه على سبيل الاستعارة المكنية . وقد صور هذا الأسلوبُ المعنى مجسداً فأسهم في إبرازه وإيضاحه .
- وقوله : « ولن يشاد الدين أحد إلأغلبه » . فيه صورة جميلة ، حيث شبه الشخص المتشدد في تطبيقه مع متانة الدين وقوته بشخصين يتجاذبان حبلاً ،كلٌ منهما يجذب الطرف الآخر إليه ، ولذلك فإن متانة الدين تجعل المتشدد مغلوباً لامحالة . وهو تشبيه هيئة بهيئة منتزعةعلى سبيل الاستعارة .
- وفي قوله : « فسددوا وقاربوا » إيحاء بعدم القدرة على الوصول إلى الكمال في الطاعات الطوعية لسعتها وكثرة أنواعها ،وإنما الموازنة والتوازن والتقريب قدر المستطاع ، فلا يحرم الإنسان نفسه من التطوعات والأعمال الخيرية ، ولايحمل نفسه فوق طاقتها .
- وفي قوله : «واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة » تشبيه العاملين المتطوعين الذين يقصدون رضا الله، بالمسافرين إلى غاية محددة ، فكما أن المسافرين يحتاجون إلى الاستراحات أثناء سفرهم ليجددوا نشاطهم، ويقطعوا المسافة في الأوقات المناسبة، فإن العاملين في الطاعات – غير المفروضة – يحتاجون إلى الاستراحات المناسبة ، لتجديد نشاطاتهم ، واستئناف العبادة الطوعية ، والإرشاد إلى استخدام هذه الوسائل يوحي بضعف الإنسان، وأنه بحاجة إلى مايساعده في الوصول إلى غايته ، وتشبيه العاملين بالدين بالمسافرين شَخَّص المعنى أكثر .
- وفي قوله : « **إن المنبتّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى** » صورة رائعة يقصد منها تحذير المتشدِّدين المغالين في الدين : فهماً وسلوكاً وعبادة ، وحثُّهم على الاعتدال والوسطية بما يلائم قدرات الإنسان وفطرته . فكما أن المسرع في سفره قد يُهلك نفسه أو راحلته ، فينقطع في الطريق ويصبح منبتاً عما يريد، فتجتمع عليه حسرتان : حسرة إهلاك رحله بسبب استعجاله ، وحسرة عدم بلوغه مرامه، فكذلك المتشدِّد في الدين ربما يحدث له في سيره مايسبب انقطاعه عن الطاعة ، وربما يؤثر عمله الطوعي على الواجبات والفرائض ، وربما يضيِّع واجبات على حساب واجبات أخرى. وذلك مايرفضه ديننا الإسلامي الحنيف. وهذه الصورة

التي أوحت بها الاستعارة المكنية في كلمه (المنبتّ) قد بعثت في العبارة حركة وحيوية ، وجعلتنا نتفاعل مع الموقف ونتخيله ، وكأننا أمام ذلك المنقطع في الصحراء ، والألم يعتصر فؤاده على استعجاله الذي جنى عليه ، وهذا مايحذرنا من الغلو والتشدّد ، ويحثنا على الاعتدال والاتزان .

وهناك قصة وقعت أيام الرسول ﷺ تدل بوضوح على أن ديننا دين الفطرة والوسطية . ورد في الحديث (أن ثلاثة من شباب الصحابة اتفقوا على الانقطاع للعبادة، قال أحدهم : أنا أصوم النهار ولا أفطر ، وقال الثاني : وأنا أقوم الليل ولا أنام، وقال الثالث : وأنا أعتزل النساء) فدعاهم الرسول ﷺ وقال لهم : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟» قالوا : نعم يارسول الله ، فقال لهم : « أما أنا فأصوم وأفطر ، وأقوم الليل وأنام ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » فقد وضح الرسول – عليه الصلاة والسلام – أن سنته هي الجمع بين أداء الطاعات ، وإعطاء الجسد حقه ، وأن الذي لايقبل بهذا التوازن لايعدّ متبعاً له ﷺ .

أسئلة وتدريبات

١ – ما الفكرة التي يعالجها الحديث الشريف ؟

٢ – لم حثنا الرسول عليه الصلاة والسلام على الاعتدال ؟

٣ – وبمَ توحي الكلمتان : (سدّدوا – قاربوا) ؟

٤ – علام تدلّ الاستعانة بالأوقات التي ذكرت في الحديث ؟

٥ – بيّن معنى (المشادّة) الواردة في النص .

٦ – اختر من بين الأقواس :الإجابة الصحيحة :

– معنى كلمة (الرَّوْحَة): (السير أول النهار – السير آخر النهار – السير أول الليل).

– كلمة (متين) مرفوعة لأنها : (فاعل – خبر إن – مبتدأ) .

– ضد كلمة (رِفْق) : (حمق – سرعة – شدة) .

– معنى كلمة (ظهر) في النص: (زاد – راحلة – مسافة) .

– كلمة (الغَدْوة) : (اسم هيئة – اسم آله – اسم مرة) .

٧ – ما الصور الجميلة في العبارة (إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى) ؟

٨ – اشرح مافهمته من قوله ﷺ : (فأوغلوا فيه برفق) .

٩– أين يبلغ المقتصد في قوله ﷺ : (القصد القصد تبلغوا) ؟

١٠– ما الأضرار التي تلحق الفرد والمجتمع بسبب الغلو في الدين ؟

رسالة في القضاء

لعمر بن الخطاب
(رضي الله عنه)

التعريف بقائل النصّ :

هو عمر بن الخطاب بن نفيل ، من بني عَدِيّ بن كعب ، ومن قريش ، ولد عام ٤٠ قبل الهجرة ، واستشهد سنة ٢٣هـ غدراً على يد أبي لؤلؤة المجوسي .

عرف قبل الإسلام وبعده بشجاعته ، وقوة بأسه ، وقد استجاب لنداء الدعوة الإسلامية ، قبل الهجرة ، النبوية بأربع سنوات ، فاستنار قلبه بالإيمان، وشهد مع الرسول – صلى الله عليه وسلم – جميع غزواته ، وقد لقبه الرسول (بالفاروق) لإقدامه ، وجرأته في الحق ، وسداد رأيه .

بويع بالخلافة يوم وفاة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – عام ١٣هـ ، الموافق ٦٣٤م ، وكان أول من تّسمَّى بـ(أمير المؤمنين) .

وقد قام عمر بن الخطاب بأعباء الحكم خير قيام ، اشتهر بالحزم والعدل ، واتصّف بالزهد والتفاني في خدمة الإسلام ، وقد جمع خلال حكمه بين العدل والرحمة والغيرة والفطنة وحسن الإدارة والتدبير ، والإيمان والنخوة . واستمر في الخلافة عشر سنوات (١٣هـ – ٢٣هـ) الموافق من ٦٣٤م – ٦٤٤م وقد اتِّسعت في عهده الفتواحات الإسلامية ، وأخذت الدولة تثبّت كيانها السياسي ويعدّ عمر بن الخطاب أول مؤسس للإدارة الإسلامية ، بما أدخله من إصلاحات مهمّة كتدوين الدواوين للجند، وتنظيم الإجازات ، وتحديد المهام والمسؤوليات ، وغير ذلك ، مستفيداً من تجارب الدول والشعوب التي دخلت في الإسلام مثل فارس .

وكان لعمر بن الخطاب من البلاغة مايعينه على إقناع الناس ، وأخذهم بمايرى .

وقد تجلَّي لنا ذلك من خلال كثرة مارواه من أشعار العرب ، وفي انجذابه إلى سحر بلاغة القرآن في حادثة إسلامه ، وفي خطبه ووصاياه ، وكتبه ورسائله إلى الولاة في مختلف الأمصار الإسلامية ، وفي حثّه الولاة على الرجوع إلى شعر العرب وفهمه ، كذلك مواقفه التذوقية والنقدية من شعراء وخطباء عصره ، ومن سبقهم .

وقد كتب هذه الرسالة إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قاضي البصرة، بعد أن ولاّه القضاء فيها ، يعرْفه أصول الحكم بين الناس بمقتضى كتاب الله ، وسنة

رسوله، ثم الاجتهاد والقياس .

وتعدّ هذه الرسالة وثيقة تأريخية وقانونية مهمّة ذائعة الشهرة ، وقد عدّها جمهور من القضاة أساساً للنظام القضائي ، وقاعدة للأحكام .

النص :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عُمَرَ أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيسٍ، سلامٌ عليك ، أما بعد : فإن القضاء فريضةٌ محكمةٌ ، وسنّةٌ متّبعةٌ ، فافهم إذا أدلي إليك ، فإنه لا ينفعُ تكلُّمٌ بحقٍّ لانفاذَ له. آسِ بين الناس في مجلسكَ حتّى لايطمع شريف في حيفك ، ولا يخاف ضعيف من جورك ، والبيّنةُ على من ادَّعَى ، واليمين على من أنكر ، والصلح جائزٌ بين المسلمين ، إلا صلحاً حرّم حلالاً ، أو أحلّ حراماً ، ولا يمنعنَّك قضاءٌ قضيته بالأمس ، فراجعت فيه نفسك ، وهديت فيه لرشدك ، أن ترجع عنه إلى الحق ، فإن الحقَّ قديم ، ومراجعة الحقِّ خير من التّمادي في الباطل .

الَفْهمَ الَفْهمَ عندما يتلجلج في صدرك بما لم يبلُغكَ في كتاب اللّه ، ولا في سنة رسول اللّه ، اعرف الأمثالَ والأشباهَ ، وقس الأمور عند ذلك ، ثم اعمد إلى أحَبِّها إلى اللّه . أشْبهها بالحق فيما ترى . واجعل للمدَّعى حقاً غائباً ، أو بيّنةً ، وأمداً ينتهي إليه ، فإن أحضر بيّنته أخذت له بحقّه ، وإلاَّ وجّهتَ عليه القضاءَ ، فإن ذلك أنْفَى للشَّكِّ ، وأجْلَى للعَمَى ، وأبلغُ في العذر » .

معاني المفردات والتراكيب اللغوية:

فريضة : مفروضة ، **محكمة** : ثابتة في القرآن ، **آسِ بين الناس** : سوِّ بينهم في المعاملة ، **الحيف**: الانحياز والظلم ، **يتلجلج** : يتردّد ويضطرب .

مما لم يبلغك : مما لم تستطع التوصّل إليه وفهمه ، **الأمثال** : المتماثلة .

الأشباه : المتشابهة ، **أمداً** : موعداً محدّداً ، **وجّهْتَ عليه** : حكمت عليه .

إضـــاءة:

بقول الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – في هذه الرسالة : من العبد الخاضع لله ، أمير المؤمنين ، إلى القاضي أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري سلام الله عليك ، وبعد : فإن القضاء الذي ولَّيناك أمره يعدّ أمراً مهما ، لاسيّما أن الله قد

فرض القضاء في كتابه العزيز ، ففريضته محكمة ثابتة ، وهو طريقة تتبعها المجتمعات الحضارية للفصل في الخصومات ، فعليك الفهم والذكاء إزاء أي قضية تقدّم إليك ، وسارع في تنفيذ مافهمته بين المتخاصمين ، فإنه لافائدة في وضوح الحق دون نفاذ له ، وسوِّ بين المتخاصمين في جلساتك القضائية ، لأنك إذا آثرت صاحب المكانة في جلسة القضاء فإنه سيأمل في انحيازك إليه ، وسيخاف الضعيف من جورك وظلمك ، واطلب البراهين ممن يتقدَّم بالدعوى ، فإذا عجز ، فاليمين على من أنكر . وإذا رضي بك الخصمان أن تفصل بينهما صلحاً دون أدلة ولا أيمان ، بصيغة ترضي الطرفين ، فذلك جائز ، إلا إذا كان الصلح يحلّ أمراً محرماً ، أو يحرم ما أحله الله ، فهو باطل مرفوض . وإذا اتضح لك ولو بعد فترة أن الذي حكمت به باطل ، فارجع عنه إلى حكم الحق ، فهو أولى بالاتباع ، ولاحرج في ذلك . ثم يقول مؤكدا على أهمية الفهم : الزم الفهم . فإنه هو الذي يساعدك على الفصل في القضايا العويصة ، وخاصة تلك التي لم تدرك حقيقتها ، ولم يصلك فيها من كتاب الله ، ولا من سنة رسول الله شيء، وبناءً على الفهم اجتهد في المقارنة بين الأمور، واستخدم القياس في الأحكام المتماثلة والمتشابهة ، ثم احكم بما تراه أرضى لله ، وأقرب إلى الحق ، واضرب للمدعي فترة محددة كيما يحضر أدلته ، ولا تفوّت عليه فرصة إثبات حقه ، فإن أحضرها في الأمد المضروب ، حكمت له على خصمه ، وإلا وجّهتَ الحكم عليه لخصمه ، فإن التأني في ذلك ينفي الشك ويوضّح الحق ، ويقدِّم العذر .

تحليل وتذوق

هذه الرسالة التي كتبها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – تعدُّ أنموذجاً لأدب الرسائل في عصر صدر الإسلام بما تحمله من طابع خاص في معانيها القيمية ، وألفاظها السهلة الواضحة ، ومعانيها الغزيرة ، وأساليبها البليغة الموجزة ، ويمكن أن نُحلّل هذه الرسالة من خلال ثلاثة جوانب هي : ديباجتها الاستهلالية ، وتعبيراتها البلاغية ، ومفاهيمها القضائية .

أولاً – الديباجة الافتتاحية ، ويقصد بها ماكتب مطلع الرسالة .

– بدأ الخليفة رسالته بكتابة (بسم الله الرحمن الرحيم) للتبرك بها ، وللاستعانة

بالله في هذا الأمر المهم . وهي طريقة متبعة في كتابة الرسائل منذ ذلك الوقت حتى اليوم .

- في قوله : (من عبد الله عمر) تواضع للمرسل إليه ، يوضح تواضع المسؤول المسلم لمن تحته في الخطاب .
- في قوله : (سلام عليك) جملة دعائية يستخدمها المرسل لتطمين المرسل إليه ، وجذب انتباهه إلى مابعد السلام .
- قوله : (أما بعد) هي عبارة تعني لفت النظر ، وتركيز الانتباه لدى السامع أو القارئ أوهما معاً للأمر المهم الذي بعدها ، وكأنه يقول : أما الأمر المهمّ فهو ... وهو أسلوب يستخدمه الخطباء والوعاظ والكتّاب في رسائلهم ومقدّمات كتبهم ومؤلفاتهم .

ثانياً – اعتمدت الرساله في أساليبها على الوضوح ، والإيجاز ، والإقناع العقلي.

- أما الوضوح فلا غبار عليه ، إذ يظهر من خلال ألفاظ الرسالة ، وتراكيبها السهلة ، وهي ميزة للرسائل التشريعية والقانونية . وأما الإيجاز فيتضح في قوله : فافهم إذا أدلي إليك) وفي قوله : آس بين الناس في مجلسك – البينة على من ادعى – اليمن على من أنكر – الصلح جائز بين المسلمين .. وغيرها وأما الإقناع العقلي المنطقي فقد استخدمه في عدة عبارات منها :« فإنه لا ينفع تكلم بحقّ لانفاذ له – فمراجعة الحق خير من التمادي في الباطل – اعرف الأشباه والأمثال وقس الأمور عند ذلك »لأن الإقناع هو الكفيل بتنفيذ المطلوب .
- اعتمدت الرسالة على توظيف الجانب الديني في التأكيد على مقاصدها مثل : فريضة محكمة – سنة متبعة – الصلح جائز – حرّم حلالاً – أحلّ حراماً – كتاب الله وسنة رسول الله – أحبها إلى الله ... وهكذا – لأن الجانب الديني له تأثير كبير على الالتزام والتطبيق لما في الرسالة .
- ركّزت الرسالة على جانب الفهم في القضاء كونه الأساس في تجنب الحيف والظلم، حيث بدأ به بعد التأكيد على شرعية القضاء مباشرة بقوله : (فافهم إذا أدلى إليك) ثم بدأ الفقرة الثانية بالتأكيد عليه بأسلوب الإغراء :« الفَهْمَ الفَهْمَ» ليدلّ على أهمية الفهم في الفصل بين الناس ، إضافة إلى امتلاك الشفافية في فهم مدى قرب الأحكام الاجتهادية والقياسية من الحق .

ثالثاً – يمكن استخلاص المفاهيم القضائية من هذه الرسالة كالآتي :

– التأكيد على شرعية القضاء وأهميته .
– وجوب المساواة بين المتخاصمين في الجلوس والتحدّث والاستماع أمام القاضي .
– البيّنة على مقدم الدعوى واليمين على من أنكر .
– ترك الفرصة المناسبة للمدّعى كيما يحضر براهينه على دعواه .
– سرعة إنفاذ مايراه القاضي ويطمئن إلى صوابه .
– جواز التراجع عن الحكم إذا ظهر للحاكم خلاف ماجزم به سابقاً .
– فتح باب الاجتهاد فيما لا نصّ فيه .
– شرعية استخدام القياس في الأحكام المتماثلة والمتشابهة .
– تحرِّي العدل في كل خطوة يخطوها القاضي يوصله إلى العدل في الحكم .

أسئلة وتدريبات

١ – ماذا تعرف عن صاحب الرسالة ؟
٢ – لم بدئت الرسالة بالبسملة ؟
٣ – من القاضي المرسل إليه ؟ وما المنطقة التي كان بها ؟
٤ – ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة ، وعلامة (X) مقابل العبارة الخطأ :
– الخليفة عمر بن الخطاب أول من تسمى بـ (أمير المؤمنين) . ( )
– تعد هذه الرسالة وثيقة علميّة مهّمة . ( )
– إذا صدر الحكم لايُنقض مهما كان . ( )
– باب الاجتهاد مفتوح إلى يوم القيامة . ( )
– اليمين على المدّعي ، والبينة على من أنكر . ( )
– القاضي الناجح هو الذي يستعجل في حكمه . ( )
– كلمة (آس) تدلّ على إنزال الناس منازلهم . ( )
– الصلح جائز بين المسلمين مطلقا . ( )
– كلمة (عمر) في قوله : (من عبد الله عمر) منصوبة . ( )
٥ – اختر الإجابة الصحيحة من بين الأقواس :
– معنى كلمة (مُحْكمة) : (ثابتة – مقفلة – قوية) .
– قوله : (الفهم الفهم) أسلوب : (تحذير – إغراء – تعجب) .
– دخل عمر بن الخطاب الإسلام متأثراً ببلاغة : (الشعر – الخطب – القرآن) .

ثَبَاتُ مُجَاهِد

سعد بن معاذ
(رضي الله عنه)

التعريف بقائل النصّ :

هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس الأوسي الأنصاري ، صحابي جليل، من الأبطال . كانت له سيادة الأوس في المدينة ، وحمل لواءهم يوم بدر ، وشهد أحداً ، فكان ممن ثبت فيها . كان أطول الناس وأعظمهم جسماً .

رُمي بسهم يوم الخندق ، فاستشهد متأثراً بجرحه ، وقد حزن عليه الرسول ﷺ حزناً شديداً ، وأثنى عليه بخير . دفن في البقيع ، وعمره سبعة وثلاثون عاماً . رحمة الله تغشاه .

كان الأنصار قد بايعوا رسول الله ﷺعلى السمع والطاعة ، وعلى أن يمنعوه ويحموه حمايتهم لأموالهم وأهلهم في المدينة المنورة .

ولما كان عدد الأنصار الذين خرجوا مع الرسول إلى بدر كثيراً ، أراد الرسول أن يعرف رأيهم في مواجهة المشركين ، فجمع المجاهدين من المهاجرين والأنصار ، وقال لهم : أشيروا عليَّ أيها الناس ، فقام أبو بكر – رضي الله عنه – فتحدّث ثم جلس ، فقال الرسول ﷺ : أشيروا عليَّ أيها الناس – فقام عمر فتحدث ، ثم جلس ، فقال الرسول ﷺ : أشيروا عليَّ أيها الناس ، فقام المقداد بن الأسود – رضي الله عنه – فتحدث ، ثم جلس ، فقال الرسول ﷺ : أشيروا عليَّ أيها الناس ، ففهم سعد بن معاذ أن الأنصار هم المقصودون بهذه الاستشارة ، فوقف ، وقال هذه الخطبة القصيرة ، ذات الدلالات العميقة .

النـص :

قال سعد بن معاذ – بعد حمد الله ، والصلاة على الرسول : « والله لكأنّك تريدنا يارسول الله ؟ قال : أجَلْ . فقال : لقد آمنا بك ، وصدّقناك ، وشهدْنا أن ماجئْت به هو الحقُّ ، وأعطيناك على ذلك عهودَنَا ومواثيقَنَا ، على السمع والطاعةِ ، فامض – يارسول الله – لما أردت ، فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق ،

– عبد السلام هارون تهذيب سيرة ابن هشام ص ١٤٠ ، والسهيلي ، الروض الأنف ٣ / ٣٣ والزركلي ، الأعلام جـ٣ .

لو استعرضتَ بنا هذا البحرَ ، فخضتَهُ لخضناه ، ما تخلّف منا رجلٌ واحدٌ ، وما نكره ُأن تلقَى بنا عدوَّنا غداً ؛ إنّا لصُبُرٌ في الحرب ، صُدُقٌ عند اللقاءِ، لعلّ الله يريك منا ما تقرُّ به عينُك ، فسِرْ بنا على بركة الله» .

معاني المفردات والتراكيب اللغوية :

أجَلْ : نعم ، **استعرضت بنا** : سرت بنا إليه .

خضته : دخلت إلى عمقه ، **لصُبُرٌ** : جمع صابر .

صُدُقٌ : جمع صادق ، **اللقاء** : الحرب ، تَقَرُّبه : **تُسَرُّبه** .

إضــــاءة :

يقول سعد بن معاذ موضحاً موقف الأنصار من المواجهة المتوقعة بين المسلمين والمشركين يوم بدر :

والله كأنك تقصدنا – نحن الأنصار – بهذه المشورة يارسول الله ؟ فقال الرسول ﷺ : نعم ، قال : نحن قد آمنا بك ، وصدّقنا كل شيء جئت به ، لأننا تيقنا أنه الحقّ ، وشهدنا على ذلك بقلوبنا ، ثم أعطيناك العهود والمواثيق على أن نسمعك ونطيع أمرك في المنشط والمكره ، فافعل ما أردت ، فنحن معك ، فو الله لو دخلت عمق هذا البحر، لدخلناه معك دون أن يتردّد منّا أحد ولدينا خبرة بالحرب طويلة ، ونمتاز بالثبات والمصابرة في الحرب ، وبالصدق والشجاعة عند اللقاء في ميدان المعركة. وستعرف ذلك منا غداً – إن شاء الله ـ فَتُسَرُّ به سروراً كبيراً ، فنفّذ ما عزمت على فعله، من منازلة الأعداء ، وسرْ بنا على رعاية الله وعونه .

تحليل وتذوق

تصوّر هذه الخطبة الموقف الذي قيلت فيه أحسن تصوير ؛ حيث استخدم الصحابي الجليل (سعد بن معاذ) رضي الله عنه – مجموعة من الأساليب البلاغية لإيصال رسالة الأنصار ، وإقناع الرسول – عليه الصلاة والسلام – بحقيقة موقفهم من حمايته ، والدفاع عنه، بل وتوضيح الدرجة العالية التي وصلوا إليها من التصديق المطلق ، والمناصرة الباسلة ، والثقة الغالية في الرسول ﷺ وفيما جاء به . ويمكن

الإشارة – بإيجاز – إلى بعض الجوانب البلاغية كما يأتي :

– اعتمد سعد بن معاذ في خطبته هذه على وضوح الأساليب والألفاظ ،لأن الموقف لايقتضي الإغراب في ذلك ، فالموقف موقف حرب ، والخطيب يريد أن يوضح مراده، لذلك جاءت الكلمات والأساليب في هذه الخطبة دقيقة واضحة، ليس فيها غموض ولاغرابة ، مما كان لها أعظم الأثر على نفسية الجند والقائد .

– استخدم سعد ـ رضي الله عنه – مجموعة من الموكدات في خطبته بما يتلاءم مع مقتضى الحال ؛ فالحال أن الرسول – عليه أفضل الصلاة والسلام – ليس متأكداً من موقف الأنصار تجاه الحرب خارج المدينة ، لأنهم عندما بايعوه إنما بايعوه على حمايته في المدينة المنوره فلزم الخطيب أن يستعمل المؤكدات المختلفة لإزالة الشكّ من نفسيات المخاطبين ، ومنهم الرسول ﷺ وإثبات حقيقة الموقف .

● فقد استخدم القسم « والله لكأنك » « والذي بعثك » واللام الموطئة للقسم « لقد » أي (والله لقد) ، والقسم من شأنه إقناع المخاطب ، وإزالة الشك عنه .

● استخدم بعض الحروف المؤكدة مثل (قد) و (إنَّ واللام) في قوله : « لقد صدقناك » و « إنا لصُبرٌ » وهذه المؤكدات ساعدت في إثبات ماقصدة الخطيب ، وكذلك التنكير في « ماتخلف منا رجل واحد » الذي يفيد تأكيد النفي وتعميمه على الأنصار – رضي الله عنهم .

– اعتمد في إقناعه على الجانب العقلي المنطقي المرتبط بالإيمان في قوله :« لقد آمنا بك ، وصدقناك ، وشهدنا أن ماجئت به هو الحق ... إلى فنحن معك » فالذي آمن بالرسول ، وصدق برسالته ، وشهد شهادة الحق ، وبايع على السمع والطاعة، لايمكن أن يتخلى، ولا يعقل أن يرتبط ولاؤه ونصرته بمكان أوزمان دون غيرهما. ولذلك قال بعدها : « فامض لما أردت فنحت معك » تأكيداً على الولاء المطلق للإسلام في كل زمان ومكان .

– استخدم دليلين واقعيين على صدق الأنصار فيما قاله : أحدهما ممكن الوقوع، وخاضع للتجربة ، وذلك في خوض البحر مع الرسول دون أن يتخلف واحد منهم عن ذلك . وكأنه يقول للرسول : جرِّب وسترى صدقنا بعينيك .

الدليل الواقعي الثاني هو لقاء العدوِّ غداً في الميدان (ومانكره أن تلقى بنا عدوّنا غداً) « ولعل الله يريك منا ماتقر به عبنك » . فالميدان يكشف عن معدن

الإنسان، ويبين صدقه من كذبه، وغد لناظره قريب، وكل شيء سيظهر على حقيقته، وفي هذين الدليلين تدعيم قويّ ، وبرهَان قاطع على ماقصده سعد ـ رضي الله عنه .

وهناك جوانب بلاغية أخرى يمكن أن يلحظها المتأمِّل في هذه الخطبة نتركها للتذوق الخاص .

أسئلة وتدريبات

١ – ما منزلة سعد بن معاذ في قومه ؟

٢ – أين قيلت هذه الخطبة ؟ ولِمَ ؟

٣ – لِمَ كرّر الرسول ﷺ استشارته للمجاهدين ؟

٤ – اختر الإجابة المناسبة من بين الأقواس :

– هذه الخطبة تمتاز بـ (الوضوح – الغموض – الطول) .

– كان سعد يوم بدر حاملاً لواء « المهاجرين – الأنصار – الخزرج » .

– تدل هذه الخطبة على الزهد في الدنيا – العدل في الحكم – الثبات في الجهاد » .

– استخدام القَسَم للمخاطب يفيد (نفي الشك – توضيح المعلومات – زيادة الفهم) .

– جملة (تريدنا) في موقع (جر – نصب – رفع) .

– استشهد سعد متأثراً من سهم أصيب به يوم (الأحزاب – بدر – حنين) .

٥ – اذكر دليلين استخدمهما سعد على ثبات الأنصار .

٦ – ماذا يجب على قادة الجيوش عند الحروب في ضوء فهمك للخطبة ؟

البلاغة

- مقدمة في الفصاحة والبلاغة .
- علم البيان
  - التشبيه وأقسامه
  - المجاز المرسل
  - الاستعارة

مقدمة في الفصاحة والبلاغة

١ - إطلالة على تاريخ البلاغة العربية

بلغ العرب مرتبة سامية في الفصاحة والبلاغة والبيان ، وحفظ لنا التاريخ صوراً من بلاغة القول ، وروعة التعبير ، عرف بها بعض رواده‌م ، وسجل القرآن الكريم ما كان عليه العرب قبل الإسلام من قوة في التعبير ، وقدرة على التأثير قال تعالى :

﴿ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ (٢) .

فهاتان الآيتان ونظائرهما ممايشهد للعرب ببلاغة القول ، وروعة البيان .

تشكلت البلاغة في نشأتها الأولى ، بشكل ملاحظات وردت على ألسنة بلغاء العرب وفصحائهم في العصور الثلاثة الأولى : الجاهلي والإسلامي والأموي .

وكان نزول القرآن الكريم أهم حدث هز وجدان العرب ، وحرك مشاعرهم ، واستثار قدراتهم الفكرية والبيانية ، ويسجل لنا التاريخ قصة الوليد بن المغيرة بعد سماعه **الآيات (١ - ١٣فصلت)** التي أثارت تفكيره ووجدانه ، فقال قولته المشهورة التي روتها كتب الأدب : « **والله لقد سمعت من محمد كلاماً ماهو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن ، إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه يعلو ولا يُعلى عليه** ».

وكما اتضحت معالم البلاغة في القرآن الكريم اتضحت كذلك في أحاديث النبي ﷺ وفي أقوال الخلفاء ، والحكام ، وكبار الكتاب ، وقادة الجيوش .

فمن جوامع كلمه ﷺ« إن من البيان لسحرا » و « الآن حمي الوطيس» و «إياكم وخضراء الدِّمن» وغير ذلك ممايعد ذخيرة أدبية رائعة .

١- سورة المنافقون آية « ٤ »   ٢- سورة البقرة آية « ٢٠٤ »

وفي ذلك يقول الجاحظ : « **لم يسمع الناس بكلام أعم نفعاً ، ولا أقصر لفظاً ، ولا أفصح معنى من كلامه** ﷺ » .

واتسعت الملاحظات في بداية العصر العباسي ، وشكلت في مجموعها ماعرف بعد ذلك بالبلاغة العربية بعلومها الثلاثة : البيان والبديع والمعاني .

وبدأ هذا العلم يتشكل على يد الجاحظ في كتابه « **البيان والتبين** » ، وتطور على يد أبي هلال العسكري في كتابه «**الصناعتين: الكتابة والشعر**» واكتملت شواهده، ونضجت تحليلاته على يد عبد القاهر الجرجاني في كتابيه: (**دلائل الإعجاز**) و(**أسرار البلاغة**) وعلى يدجار الله الزمخشري في كتاب «**الكشاف في تفسير القرآن**».

وأخيراً جاء السكاكي الذي نظم قواعده ، ورتب أبوابه في كتابه «**مفتاح العلوم**» وذلك في القرن السادس الهجري .

٢- معنى الفصاحة والبلاغة

قد نقرأ نصاً أدبياً فنحكم عليه بوضوح المعنى وجمال التعبير ، ونقرأ نصاً آخر ونحكم عليه بالغرابة والغموض أو الضعف وركاكة الأسلوب ، فما مرجع هذه الأحكام ؟ ومامصدرها العلمي ؟ لاشك أن الإجابة على هذا السؤال تتضح من خلال العودة إلى كتب البلاغة التي قامت بتعريف الفصاحة والبلاغة على النحو الآتي :

الفصاحة :

في اللغة هي الظهور والوضوح والبيان، يقولون :أفصح الصبح إذا استبان ، وأفصح الأعجمي إذا أبان ، وأفصح فلان عن مراده أظهره وبينه ، وعبر عنه بوضوح .

وتأتي الفصاحة في الاصطلاح بمعنى التعبير عما في النفس ، وعما تراه العين تعبيراً واضحاً وصحيحاً وخالياً من الغرابة ، وتنافر الحروف ، ومخالفة القياس الصرفي .

البلاغة :

لغة مأخوذة من البلوغ ، وهو الوصول إلى الهدف ، والانتهاء إلى الغاية ، يقال: بلغ فلان مراده إذا وصل إليه ، وبلغ الأمر منتهاه تم . وتعرَّف البلاغة في الاصطلاح بأنها ملكة في النفس تعين المتكلم والكاتب على توصيل أفكاره إلى المخاطب بلغة جميلة مؤثرة .

ومن هذه التعريفات يتبين أن الفصاحة تكون وصفاً للكلمة المفردة ، وقد تكون للكلام ، وللمتكلم ، ولذلك قالوا كلمة فصيحة ، وكلام فصيح ، وخطيب فصيح .

أما البلاغة فلاتكون وصفاً للكلمة المفردة ،فلا يقال للكلمة المفردة :كلمة بليغة، وإنما يقال : كلام بليغ ، وخطيب بليغ أو كاتب بليغ ،فالبلاغة أعم والفصاحة أخص . ومن هذا المنطلق عابوا بعض الكلمات لمخالفتها قواعد الفصاحة ، فمما يخل بالفصاحة تنافر الحروف، وغرابة الكلمات ، وغرابة المعاني، ومخالفة القواعد الصرفية [١] .

٣- وظيفة البلاغة :

سبقت الإشارة إلى أن البلاغة علوم ثلاثة : علم البيان ، وعلم البديع ، وعلم المعاني ، ولكل علم وظيفته ، فوظيفة علم البيان التعبير غير المباشر عن المعنى بأساليب تعتمد التصوير وتقريب المعنى بصورة حسية مألوفة ،كتشبيه قساوة القلب بالحجارة كما في قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ [٢]

حيث بلغ التأثير مداه بسبب التشبيه.

ووظيفة علم البديع هو تحسين الكلام لفظاً ومعنى .

كالمقابلة في قوله تعالى :﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا ﴾ [٣] .

فالمكر من الله العذاب جعله الله مكراً مقابلاً لمكرهم بأنبيائه ، فعلم البديع يضفي على الأسلوب روعة وجمالا .

---

(١) من أمثلة تنافر الحروف وغرابة الكلمات قول أحد الأعراب وقد سئل عن ناقته « تركتها ترعى » الهعخع ،نوع من الأشجار .

ومثال غرابة المعاني قول امرئ القيس في وصف الأنف« وفاحماً ومرسناً مسرجا » فكلمة (مسرجاً) فيها غرابة في المعنى لأنها تحمل معنى البريق واللمعان ، ومعنى الدقة والاستواء .

ومثال مخالفة القواعد الصرفية قول الفرزدق :

وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم ... خضع الرقاب نواكس الأبصار

فجمع ناكس على نواكس بينما جمعها المقرر صرفياً « ناكسون » قال تعالى : « ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم » السجدة ١٢ .

(٢) سورة البقرة آية (٧٤) .

(٣) سورة النمل آية « ٥٠ » .

كما أن وظيفة علم المعاني تنويع أساليب الخطاب مراعاةً لحال المخاطب كالأمر والنهى والاستفهام والإيجاز والإطناب ونحوها .

تدريبات

١ – عرف الفصاحة والبلاغة مع ذكر الفرق بينهما .

٢ – مامعنى علم البيان والبديع والمعاني ؟

٣ – بين ما الذي أخل بفصاحة الكلمة فيما يأتي :

– **مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل**

– **وقبر حرب بمكان قفر و ليس قرب قبر حرب قبر**

– **الحمد لله العليّ الأجلل الواحد الفرد القديم الأول**

علـم الـبيان*

التشبيه وأقسامه

الأمـثـلـة :

المجموعة الأولى :

قال الشاعر :

أنت مثل الغصن لينا　　　وشبيه البدر حسناً

وعندما نمدح شخصاً بالجمال نقول : أنت مثل الشمس ضياء .

المجموعة الثانية :

– قال تعالى :

﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤ كَٱلْمُهْلِ [1] يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ۝٤٥ ﴾ [2]

وقال الشاعر :

وليل كموج البحر أرخى سدوله　　　عليَّ بأنواع الهموم ليبتلي

المجموعة الثالثة :

قال الشاعر :

أحلامنا تزن الجبال رزانة　　　وتخالنا جناً إذا ما نجهل

– وقال حاجب بن زرارة التميمي من خطبة له بين يدى كسرى :

إن العرب أمة قد غَلُظَتْ أكبادها ، واسْتحْصَدت مرَّتها [3] وهي العلقم مرارة ، والعسل حلاوة ، والماء الزلال سلاسة .

---

* مادة البيان في أصلها تدل على الوضوح والانكشاف والظهور ، والبيان في الاصطلاح أصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة .

(١) المهل : النحاس المذاب . (٢) الدخان : ٤٣ – ٤٥ .

(٣) استحصدت : استحكمت ، كناية عن القوة والمنعة .

المجموعة الرابعة:

قال النابغة الذبياني :

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وقال امرؤ القيس :

لـه أيطلا ظَبْيٍ وساقا نعامةٍ وإرخاءُ سرحانٍ وتقريبُ تَتْفُلِ

الشرح والتحليل

- تأمل الأمثلة السابقة تَرَ أسلوباً من أساليب الوصف ، لكنه أسلوب غير مباشر يسمى التشبيه، وهذا الأسلوب يعتمد الموازنة بين الأشياء .

ففي المجموعة الأولى شبه الممدوح – وهو المرأة هنا – بالغصن لإبراز النحافة واللين وحسن القوام ، كما شبه الوجه بالبدر والشمس ، لإبراز جماله من حيث البياض والاستدارة ، فضمير المخاطب أنت مشبه والغصن والبدر والشمس مشبه به، وأداة التشبيه مثل وشبيه ، ووجه الشبه (ليناً وحسناً وضياء) فأركان التشبيه الأربعة مذكورة جميعها في الأسلوب، لذلك يسمى هذا النوع من التشبيه (مرسلاً مفصلاً) .

وفي المجموعة الثانية شبهت شجرة الزقوم بالمهل في الآية الكريمة ، وشبه الليل بموج البحر في البيت الشعري ، وفي هذه المجموعة نلاحظ أن المذكور من أركان التشبيه المشبه ، والمشبه به ، وأداة التشبيه ، ولا نلاحظ وجه الشبه ، وإذا حذف وجه الشبه سمي التشبيه (مرسلاً مجملاً) .

وفي المجموعة الثالثة شبهت الأحلام بالجبال في الرزانة، وشبه العرب بالعلقم في المرارة، وبالعسل في الحلاوة، وبالماء العذب في السلاسة، فالمحذوف في هذه المجموعة هو أداة التشبيه، وإذا حذفت الأداة، وذكرت بقية الأركان سمي التشبيه (مؤكداً مفصلاً) .

وفي المجموعة الرابعة شبه النابغة الممدوح بالشمس ، وغيره من الملوك بالنجوم ، كما شبه امرؤ القيس خاصرتي الفرس ، بخاصرتي الغزال ، وشبه ساقيه بساقي النعامة ، وشبه عَدْوه بعدو الذئب ، وشبّه تقريب رجليه من يديه عند الجري بولد الثعلب وهو « التتفل » ليدل من كل هذه التشبيهات على سرعة فرسه ،لذلك أخذ من كل حيوان أحسن شيء يساعده على الجري، وأسقطها على فرسه ، ليبدو فرسه أسرع من جميع

الحيوانات، بيد أنه لم يذكر وجه الشبه ، ولا أداة التشبيه ، وإذا حذف الوجه والأداة، سمي التشبيه (بليغاً) وهو تشبيه أرقى من كل التشبيهات السابقة ، حيث ادعى المتكلم أن المشبه هو نفس المشبه به ، لأن ذِكْرَ الأداة والوجه يقلل من بلاغة التشبيه .

الخلاصة :

- التشبيه أحد مباحث علم البيان وهو عَقْدُ مماثلة بين شيئين اشتركا في صفة أو أكثر.
- أركان التشبيه أربعة : مشبه ، ومشبه به وأداة التشبيه ووجه الشبه.
- أدوات التشبيه هي مادل على المماثلة بين شيئين ، وقد تكون حرفاً أواسماً أو فعلاً كالكاف وكأن ومثل ويشبه ويماثل ويضاهي وتخاله ونحوها .
- أقسام التشبيه من حيث الأركان خمسة أقسام .

١ – تشبيه مرسل وذلك إذا ذكرت أداة التشبيه .
٢ – تشبيه مؤكد وذلك إذا حذفت الأداة .
٣ – تشبيه مجمل وذلك إذا حذف وجه الشبه .
٤ – تشبيه مفصل وذلك إذا ذكر وجه الشبه .
٥ – تشبيه بليغ وذلك إذا حذف الوجه والأداة .

تدريبات

١ – حدد أركان التشبيه ونوعه في الأمثلة الآتية :

– قال تعالى :

﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ[1] ٱلْعَظِيمِ[2] ﴿٦٣﴾ ﴾

– الولد كأبيه خلقا وديناً ووجاهة .

– العلم للقلوب كالحياة .

(١) الطود : الجبل . (٢) الشعراء : ٦٣ .

– قال الشاعر :

إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

– وقال آخر :

وجيش كمثل الليل هولاً ورهبة وإن زانه مافيه من أنجم زهر

– قال تعالى :

﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ ﴾ (١).

٢ – اجعل الكلمات الآتية مشبهاً به وأدخلها في جمل مفيدة .

البحر – الأسد – أم – نسيم عليل – مرآة صافية .

٣ – اشرح العبارة الآتية شرحاً أدبياً موضحاً أركان التشبيه .

قال الإمام علي – رضي الله عنه : **مثل الذي يعلم الناس الخير ، ولا يعمل به، مثل السراج يضيء للناس ، ويحرق نفسه .**

٤ – املأ الفراغات اللاحقة بكلمة مناسبة ممايأتي : عمر بن الخطاب – مثل– كلامك– الزهد– الورع .

– الحاكم يشبه .... في العدل .

– تسرع السيارة .... البرق .

– .... مثل الماء الزلال عذوبة وصفاءً .

– العالم كأنه الحسن البصري في ...... و ....

(١) الصافات : ٦٥ .

التشبيه التمثيلي

الأمـثـلـة :

١ – قال تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾ (١)

٢ – وقال بشار بن برد يصف معركة :

كأن مثارَ النَّقْعِ فوقَ رُؤوسنا وأسْيَافَنَا ليلٌ تهَاوَى كواكبُه

٣ – وقال بشارة الخوري يصف عيني مسلول ■ :

عَيْنَاهُ عالقتَانِ في نَفَـــقٍ كَسِراجِ كُوخٍ نَصف متّقـــدِ

٤ – وقال الشاعر :

والمستجيرُ بعمرو عنْدَ كُرْبَتِـهِ كالمُسْتَجِيرِ من الرمضاءِ بالنار (٢)

الشرح والتحليل

تأمل المثال الأول :في الآية الكريمة تجد أن الله سبحانه يصف أعمال الكافرين بعدم الفائدة ، وقلة القيمة ، وأنها لاجدوى منها ، ولا تنفع أصحابها في الآخرة ، ولكي يقرب هذا المعنى إلى الأذهان ، فإنه يشبِّه تلك الأعمال بصورة حسية معروفة لدى المخاطبين ، وهي السراب في صحراء قاحلة ، حين يراه الإنسان عن بعد فيظنه ماءً، فإذا وصل إلى ذلك المكان لم يجد ذلك الماء .

والعلاقة بين الصورتين ، تتمثل في عدم الفائدة ، وتوحي الآية بالحاجة التي يتلمسها كل من الكافر ، ورائي السراب ، وخيبة الأمل التي تصيب كلاً منهما ، وهذه العناصر مجتمعة تمثل وجه الشبه .

وإذا كان وجه الشبه مكوناً من عناصر متعددة لا تنفصل ، فهو تشبيه تمثيل أو تشبيه مركب .

---

(١) النور: ٣٩ . (٢) المقصود بعمر وهنا عمرو بن الحارث بن ذهل لما قَتَلَ جساسُ بن مرة كليباً طلب كليب من عمرو شربة ماء قبل أن يموت ، فأجهز عليه عمرو فضرب به المثل ..

أما في المثال الثاني : فيصف الشاعر المعركة وقد حَمِيَ وطيسها ، وثار الغبار الكثيف من تحت أقدام المقاتلين ، وحوافر الخيل ، وارتفع حتى غطى سماء المعركة ، فاشتد ظلامها ، ولولا لمعان السيوف لما ميّز المقاتلون الصديق من العدوّ ، ولكي يقرب الشاعر الصورة إلى الأذهان شبهها بصورة أخرى هي الليل الحالك الذي تتهاوى فيه نجوم السماء ،فالرؤية معتمة ، ولولا تهاوي النجوم بين الفينة والفينة لما رأى السائرون في عتمة الليل موضع أقدامهم .

فوجه الشبه بين الصورتين مكون من عدة عناصر ، ولذلك سُمِّي التشبيه (تمثيلياً) فالصورة المشتركة بينهما هي لمعان جسم أبيض وسط ظلام أسود ، مع مايبعثه هذا الجو من خوف وهلع في نفوس مشاهديه .

- وفي المثال الثالث : يصف الشاعر عينى مسلول فيقول : إن هذا المسلول قد أصابه الهزال بسبب هذا المرض ،حتى تضاءلت عيناه ، فأصبحتا ككرتين هزيلتين معلقتين في نفق غائر مظلم ،وهذا النور الخافت المنبعث من عينين ضامرتين غائرتين في محجريهما ، أشبه مايكون بسراج نفد زيته ، وتضاءل نوره، وأوشك على الانطفاء . وهي صورة توحي بقرب وفاة المسلول .

  فهذه العناصر بمجموعها تكوِّنُ (وجه الشبه) بين الصورتين ، ولذلك سمِّى التشبيه (تمثيليا) . . وواضح أن الذي جمع بين الصورتين هو الهزال والضعف والضمور وقرب الفناء .

- وفي المثال الرابع : يشبه الشاعر من يلجأ عند المصائب إلى من لايجيره بمن يفرُّ من حرارة الشمس ، ووهج الصحراء ، إلى وسط نار مستعرة ، (فالمشبَّه) المستجير بعمرو عند الكربة ، و(المشبه به) المستجير من الرمضاء بالنار ، و(وجه الشبه) هو الهيئة الحاصلة من الهروب من الضار إلى ماهو أشدُّ ضرراً منه ،طمعاً في النجاة من الضرر ، ولأن الهيئة المكونة لوجه الشبه منتزعة من عناصر متعددة ومتلاحمة فقد سُمى التشبيه (تمثيليا) .

- وهنا يجب التفريق بين وجه الشبه المركب أو التمثيلي ووجه الشبه المتعدد فالأول: غير قابل للتجزئه لأن جماله في تلاحم عناصره ،كما رأينا في الأمثله المذكورة ، أما الثاني فيصح فيه تجزئة وجه الشبه إلى عناصر تشبيه مفردة يستغني كل تشبيه بوجه ،كأن تقول : الولد كأبيه طولاً وذكاءً ووسامة.

– الولد كأبيه طولاً .
– الولد كأبيه ذكاء .
– الولد كأبيه وسامة .
– ويكون التعبير صحيحاً .

الخلاصة :

١ – يسمى التشبيه تمثيلياً إذا كان وجه الشبه هيئة منتزعة من عناصر متعددة ومتلاحمة .
٢ – يسمى التشبيه غير تمثيلي إذا كان وجه الشبه مفرداً أو متعدداً .
٣ – يعدّ تشبيه التمثيل أجمل أنواع التشبيه ، وأجلَّها قدراً وأقدرها على التوضيح والتمثيل والتقريب بين المشبه والمشبه به .

تدريبات

١ – وضح التشبيهات التمثيلية في الأمثلة الآتية :
– قال تعالى :
﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ﴾ (١)

قال الشاعر :

كأن القلب ليلة قيل يُغْدى ... بليلى العامرية أو يُراحُ
قطاة عزها شرك فباتت ... تجاذبه وقد علق الجناح

– قال رسول الله ﷺ : « **مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادِّهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمَّى** » .

٢ – ميز بين التشبيهين الآتيين :
١ – كأنه علم في رأسه نارُ.
٢ – العالم بين الجهلاء مثل النهر في الصحراء .

(١) الكهف : ٤٥ .

٣ – اشرح البيت الآتي شرحاً أدبياً موضحاً المشبه ، والمشبه به ، ووجه الشبه:

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمولُ

٤ – اختر الإجابة المناسبة من بين الأقواس :

– أصحابى كالنجوم . وجه الشبه :(الشجاعة ، الهداية ، الإضاءة) .

– البنت كأمها حنا ناًوعطْفاً :(تشبيه تمثيل ، تشبيه مفرد ، تشبيه متعدد).

– أجمل أنواع التشبيه (التشبيه المرسل ، تشبيه التمثيل ، التشبيه البليغ) .

٥ – املأ الفراغ بالمشبه به المناسب في العبارات الآتية :

– عقول العلماء مثل .... في الرزانة والحكمة .

– جمحت عنا الدنيا نافرة كما يجمح ...... براكبه .

– أعددت للشعراء هجاء مقذعاً كا ...... القاتل .

التشبيه الضمني

الأمـثـلـة :

١ – قال تعالى : ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ ﴾ (١)

٢ – قال المتنبي :

مَن يَهُنْ يَسهُلِ الهوانُ عليه ... مـا لـجـرحٍ بـمـيّتٍ إِيْـلامُ

٣ – قال أبو فراس الحمداني :

تهونُ علينا في المعالي نفوسُنا ... ومن يخطبِ الحسناءَ لم يُغلِه المهرُ

الشرح والتحليل

– في المثال الأول ، يقول تبارك وتعالى : إنّ الله سبحانه هو رب السماوات والأرض ولا يجوز لعاقل أن يتخذ من دونه أولياء أو شركاء ، فالأولياء أو الشركاء لا خير فيهم ، ولا يقدمون إلى الإنسان منفعة ، ولا يدفعون عنه ضرراً . ثم يمضي السياق فيقول إن الأعمى والبصير لايتشابهان ، وكذلك لاتستوي الظلمات والنور ، فماذا يُقصد بالأعمى والبصير ؟ وما علاقتهما بالظلمات والنور ؟ من الواضح أن هناك علاقة بين المشرك والأعمى ، فكلاهما لا يرى الحقائق ، وعلاقة ثانية بين المؤمن والبصير ، فكلاهما يستطيع أن يميز الأشياء تمييزاً واضحاً .

– وكذلك نجد علاقة بين الكفر والظلمات من ناحية ، وعلاقة بين الإيمان والنور من ناحية ثانية . وهذه العلاقة كالمشابهة ، ونلمح ذلك ضمنا ولذلك نقول إن التشبيهات ليست صريحة صراحة التشبيهات العادية ، وإنّما هي تشبيهات ضمنية.

– وفي المثال الثاني ، يقول المتنبي : إن الشخص الذي يقبل الذل المرّة ، تلو المرّة تهون عليه كرامته ، ولا يتأثر لما يمسّها . كما أنّ الميّت لايحس ولا يتأثر إذا ماجُرح جثمانه . وهذا الاستدلال ينطوي على تشبيه حالة الشخص الذي يقبل الذل بحال

(١) الرعد : ١٦ .

ميّت يُجرح فلا يتأثر ، ولكن هذا التشبيه لم يأت في صورة من الصور السابقة.

– فقد اقتصر الشاعر على جملة مستقلة ، واستدل بها على صدق حكمه بحيث يُفهم من سياق هذا الاستدلا ل وجود تشبيه ضمني ،غير مصرّح بذكره.

– ومثل ذلك نراه في قول أبي فراس ، فهو يشبّه حالهم في طلب المعالي، واسترخاص كل شيء في سبيلها ـ حتى النفوس ـ بحال من يخطب الحسناء، فلايهتم بزيادة المهر بالغاً مابلغ ، ولكن هذا التشبيه أيضاً – غير صريح . وإنّما يلمح من الكلام . فالشاعر أصدر حكماً في الشطر الأوّل ، وجعل الشطر الثاني في صورة دليل على صدق مايقول .

وهكذا نرى أن المشبه به في النماذج السابقة صورة تدل دلالة واضحة على فكرة قائلها . وبذلك تصل إلى نفس السامع ،أو القارئ مؤثرة مقنعة، وهذا النوع من التشبيه يسمى في الاصطلاح البلاغي « التشبيه الضمني » .

الخلاصة :

التشبية الضمني تشبيه لايأتي في صورة من صور التشبيه المعروفة ، وإنما يفهم التشبيه من مضمون معنى الكلام ، ويكون المشبه به دائماً برهاناً على ما أسند إلى المشبه .

تدريبات

١ – وضح التشبيهات فيمايأتي مبيّنا نوعها :

– قال الشاعر :

سيذكرني قومي إذا جدّ جدّهم ... وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

– وقال آخر :

اصبر على كيد الحسود ... فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل نفسها ... إن لم تجد ما تأكله

وقال آخر :

ضحوك إلى الأبطال وهو يروعهم ... وللسيف حد حين يسطو ورونقُ (١)

(١) رونق السيف : بريقه

وقال آخر :

ومن الخير بطء سيبك عنّي أسرع السحب في السماء الجَهام [1]

وقال آخر :

وأصبح شعري منهما في مكانه وفي عنق الحسناء يستحسن العقدُ

وقال آخر:

للغرب في الشرق عادات مقدمة كانت وما برحت أولى بتأخيـــرِ
لا تتبعوها ، فكم من زهرة حسنت في الناظرين وساءت في المناخيــر

وقال آخر :

وإذا أراد الله نشر فضيلـــــةٍ طُويت أَتاح لها لسانَ حســـــودِ
لولا اشتعال النار فيما جــاورت ما كان يُعرف طيبُ عرفِ العودِ

(١) الجهام : لاماء فيه .

التشبيه المقلوب

الأمـثـلـة :

١ – قال الشاعر :

أحنّ لـهم ودونَهَمُ فَـلاَةٌ   كـأُنَّ فَسيْحها صـدرُ الـحليم

٢ – وقال آخر:

وبدا الصباحُ كأنَّ غُرَّتَهُ   وجهُ الخليفةِ حين – يـمتدح

٣ – النحلة نشيطة كفتاة الريف .

الشرح والتحليل

في المثال الأول شبه الشاعر الفلاة بصدر الحليم في الاتساع . وأنت تلاحظ أن هذا التشبيه خرج عما نتوقع ، فالشيء يُشبَّه بما هو أقوى منه ، والمتوقع القول: صدر الحليم كالصحراء ، ولكن الشاعر قَلَبَ التشبيه للمبالغة والادعاء . وهذه المبالغة تهدف إلى إظهار الإعجاب الشديد بصدر الحليم ، والادعاء بأنه أكثر سعة من الصحراء.

وفي المثال الثاني يقول الشاعر : إن تباشير الصباح وعلاماته ، تشبه في الإشراق وجه الخليفة حين يسمع المديح . وهذا – أيضاً – تشبيه مقلوب بادعاء أن وجه الخليفة أكثر إشراقاً وإضاءة من الصباح.

وفي المثال الثالث شُبِّهتِ النحلة بفتاة الريف بادعاء أن فتاة الريف أكثر نشاطاً من النحلة.

الخلاصة :

التشبيه المقلوب هو جعل المشبه به مشبهاً بادعاء أن وجه الشبه فيه أقوى بهدف المبالغة والافتتان .

تـدريـبـات

١ – حدد المشبهَ والمشبه به ووجه الشبه ونوع التشبيه في المثالين الآتيين :

– كأن النسيم في الرقة أخلاقه .

– قال البحترى في وصف بركة المتوكل :

كأنَّهاَ حين لجَّتْ في تدَفُّقِها ... يدُ الخليفةِ لمّاسالَ واديها (١)

٢ – لمَ كان التشبيه مقلوباً في المثال الآتي :

– قال البحتري

في حمرةِ الوردِ شيء من تَلَهُّبِهَا ... وللقضيبِ نصيبٌ من تَثَنيها

٣ – أي التشبيهين الآتيين مقلوب :

– وصف أحدهم فرساً بقوله :

قـد بعثنا بجـوادٍ ... مثلُـهُ ليـس يـرامْ

وجهُهُ صبحٌ ولكـن ... سائرُ الجسم ظلامْ

– يقال : **كأن سواد الليل شعر فاحم** .

* * *

(١) سال واديها : المقصود أجزلت العطاء

بلاغة التشبيه

التشبيه ميدان فسيح من ميادين البلاغة يتسابق فيه الشعراء والكتاب ، وله مكانة عالية يرتقى إليها الأدباء.

إذ أن التشبيه يوضح الغامض ويقرب البعيد، ويزيد المعاني رفعة ، ووضوحاً .

وكلما كان التشبيه أوفى بالغرض الذى سيق من أجله ، كان أدنى إلى البلاغة.

- انظر إلى قوله تعالى :

﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ﴾ (١) كيف اتضح المعنى الذي أراد تصويره ،

وهو عدم استجابة الآلهة المدعوة من دون الله ، وهو أمر مستحيل ، لكن هذه الاستحالة لم تأت في سياق التعبير المباشر ، وإنما جاءت في أسلوب تشبيهىّ ، وصورة مألوفة محسوسة ، وهي استحالة بلوغ الماء إلى كف من طلب الماء دون أن يغمس كفه في الماء ، ليغترف منه .

- ومن التشبيهات مايكون سر جمالها في ندرتها كقول الشاعر يصف الشمس عند شروقها :

قد لاحت الشمس تحكى عند مطلعها   مرآة تِبْرٍ بدت في كف مرتعش

فشبه الشمس عند طلوعها وهي مشربة بحمرة ، بمرآة من الذهب في كف مشلول ترتعش يده ، وهو يمسك بالمرآة ، وهي صورة نادرة ، وفي منتهى الدقة في التعبير عن اهتزاز أشعة الشمس عند شروقها ، وهي صورة لايتخيلها إلا شاعر واسع الخيال .

- وخلاصة القول : **أن بلاغة التشبيه مرجعها الإيضاح والتأثير والدقة في التعبير، بهدف تقوية المعنى وتمثيله ـ إن كان معنوياً ـ بشيء حسي يدركه المخاطب.**
- **وقد يعود جمال التشبيه وبلاغته إلى الدقة والطرافة في استخدام المشبه كما يشبه به أحدهم وردة قد كستها الأوراق بعذراء أبصرها مبصر فغطت بأكمامها رأسها.**

---

(١) الرعد : ١٤ .

المجاز المرسل

الأمثلة :

١ – كم بعثنا الجيشَ جراراً وأرسلنا العيونا .

٢ – قال تعالى : ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ (١).

٣ – قال الشاعر :

ألا مـن رأى الطفـلَ المفـارق أمَّـه ... بُعيدَ الكرى عيناهُ تنسكبانِ

٤ – وقال آخر :

ولقد نزلت بخير من وطئ الحصى ... قيسٍ ، فأثبت نعلها وقبالها

٥ – وقال شاعر آخر :

تسيلُ على حدِّ السيوف نفوسُنا ... وليس على غيرِ السيوف تسيلُ

٦ – قال تعالى : ﴿ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ﴾ (٢).

٧ – وقال تعالى : ﴿ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ (٣).

٨ – وقال تعالى على لسان نوح عليه السلام :

﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝٢٧ ﴾ (٤).

٩ – وقال الشاعر :

رأيتُك محضَ الحلم في محضِ قدرةٍ ... ولو شئت كان الحلمُ منك المهندا

الشرح والتحليل

– انظر إلى قول الشاعر (وأرسلنا العيونا) تجد أن كلمة (العيون) لايُقصد بها معناها الأصلي ، وإنما يقصد بها الجواسيس التي تترصد الأعداء .

ولعلك تتساءل : لِمَ عبر عن الجاسوس بالعين ؟ ، والجواب أن العين هي وسيلة الجاسوس للتجسس ، وقد أطلق الشاعر الجزء وأراد به الكلّ ، وتجد أن لهذا الجزء دلالة خاصة، والعلاقة بين العين والجاسوس ليست المشابهة ، وإنما هي (الجزئية) .

(١) آل عمران : (١٦٧) . (٢) غافر : (١٣) . (٣) النساء : (٢) . (٤) نوح : (٢٧) .

- في قوله تعالى « يقولون بأفواههم » معروف أن القول يكون باللسان، وأن الفم وضع بدل اللسان ليدل على أنهم لايكتفون بألسنتهم ،بل يقولون بكل أفواههم، أو بملء أفواههم . والعلاقة بين المعنى الأصلي للكلمة ، والمعنى المجازي الذي سيقت فيه هنا ليست المشابهة ، وإنما هي استعمال الكل بدل الجزء ، ولذلك تسمى (العلاقة الكلية) .
- والشاعر في المثال الثالث يرثى زوجته ، واصفاً حالة الطفل الذي ماتت أمه، فاستعمل كلمة (عيناه) استعمالاً مجازياً ، لأن الذي ينسكب أو يسيل هو الدموع وليس العينين . ولما كانت العينان هما محل الدموع قلنا إن الكلمة مجاز علاقته (المحلية) .
- في المثال الرابع يقول الشاعر إنه قد نزل (بقيس) ، و(قيس) هو اسم الرجل الذي يمدحه ، والواقع إنه قد نزل بمكان قيس ، ولم ينزل بالرجُل ، ولكنه عبر بمن يحل بالمكان عن المكان نفسه ، هذا مما جعل كلامه موجزاً ، ثم أعطى دلالة على أن الذي يشغل باله هو قيس ، وإليه يتجه بمشاعره . وهكذا عبر بالحالِّ عن المحل على سبيل المجاز ، (العلاقة الحالّيّة) .
- « تسيل على حد السيوف نفوسنا » الشاعر هنا يريد أن يصور جو الموت ، فلم يقل تسيل دماؤنا ، وإنما ذكر أن النفوس هي التي تسيل ، ووجود النفس في الجسم سبب في وجود الدم فيه ، فإطلاق النفوس على الدم ، التي هي سبب في وجوده مجاز مرسل ، علاقته (السببية) .

المجاز كلمة (رزقا) في الآية القرآنية لأن الرزق لاينزل من السماء ، ولكن الذي ينزل منها مطر ينشأ عنه النبات الذي منه طعامنا ورزقنا . فالرزق مسبب عن المطر ، فهو مجاز مرسل علاقته (المسببية) ، وكلمة رزقا أضافت معاني ربطت الأرض بالسماء والعبد بربه .

- اليتيم في اللغة هو الصغير الذي مات أبوه ، والله لايأمر هنا بإعطاء اليتامى الصغار أموالهم التي ورثوها عن آبائهم ، بل يأمر بإعطاء الأموال لمن وصل منهم إلى سن الرشد ،بعد أن كانوا يتامى . فكلمة (اليتامى) في المثال السابع مجاز ،لأنها استعملت في الراشدين ، والعلاقة (اعتبار ماكان) .
- والكلمتان :(فاجر وكفار) مجازان، لأن المولود حين يولد لايكون فاجراً ولاكفّارا ،

ولكنه قد يكون كذلك عندما يكبر ، وقد قال نوح عليه السلام :ذلك من خلال تجربته مع قومه ، فأطلق الفاجر على المولود ، وأراد به الرجل الفاجر والعلاقة (اعتبار ما يكون) .

وفي المثال االأخير يقول الشاعر :

– رأيتك حليماً جداً ، مع أنك قادر جداً ، ولو شئت أن تجعل المهند (السيف) مكان الحلم لفعلت . أطلق (المهند) الذي هو السيف ، وأراد الحرب ، فكان استعمال كلمة المهند الذي هو آلة الحرب استعمالاً مجازياً ، علاقته (الآلية) .

الخلاصة :

– المجاز المرسل كلمة استعملت في غيرما وضعت له، لعلاقة غير المشابهة.
– علاقات المجاز المرسل متعددة تفهم من السياق ، ومنها :
الجزئية – الكلّيّة – المحلّية – الحالِّيّة – السببيّة – المسببيّة – اعتبار ما كان – اعتبار ما يكون – الآلية .
– ينبع جمال المجاز المرسل من الإيجاز في بعض صوره ، ومن الارتباط بشعور قائله ، وقدرته على نقل المعنى بصورة أقوى من نقل التعبير الحقيقي لذلك المعنى.

تدريبات

١– بين علاقة المجاز المرسل الذي تحته خط في العبارات الآتية :

– قال الشاعر : **له أياد علي سابغة   أعد منها ولا أعددها**

– قال تعالى : ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ ﴾ (١) .

– قال الشاعر : **لا أركب البحر إني   أخاف منه المعاطب .**
طين أنا وهو ماء   والطين في الماء ذائب .

– وقال آخر :

إني نزلت بكذابين ضيفهم   عن القرى وعن الترحال محدود .

(١) العلق : (١٧–١٨) .

٢– حدد المجاز المرسل وبين علاقته فيما يأتي :

– رعينا الغيث .

– قال تعالى : ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾[١] .

– وقال تعالى : ﴿ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾[٢] .

– قال أعرابي لآخر يسأله إن كان متزوجاً : ألك بيت ؟

– سقت الدلو الأرض .

– شربت بناً .

– سال الوادي .

٣– بين علاقة المشابهة وغير المشابهة في المجازات التالية :

– الإسلام يحث على تحرير الرقاب .

– سرق اللصوص المنزل .

– أنت تضيء للناس وتحترق .

– قال الشاعر : **إذا لمع البرق من كفه   أفاض على الوجه ماء النعيم**

– قال تعالى حكاية عن صاحب الرؤيا : ﴿ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾[٣] .

* * *

(١) البقرة : (١٨٥) .

(٢) البقرة : (٤٣) .   (٣) يوسف : (٣٦) .

الاستعارة

تعريفها وأقسامها

الأمثلة :

المجموعة الأولى :

١ – قال تعالى : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [١]

٢ – قال الشاعر :

فأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ⁂ ورداً وعضتْ على العُنَّاب بالبرد [٢]

٣ – وقال شوقي يرثي عمر المختار زعيم المجاهدين في ليبيا :

يا أيها السيف المجردُ بالفلا ⁂ يكسو السيوف على الزمان مضاءَ

المجموعة الثانية :

المجموعة الثانية :

١ – قال تعالى : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [٢] .

٢ – قال الشاعر :

وإذا المنية أَنْشَبَتْ أظفارها ⁂ أَلْفَيْتَ كلَّ تميمة لا تنفعُ

٣ – وقال آخر :

قوم إذا الشرُّ أَبَدى نَاجذَيْهِ لهم ⁂ طاروا إليه زُرافاتٍ ووحدانا [٤]

المجموعة الثالثة :

١ – «**أنت تضرب في حديد بارد**» يقال لمن ينصح من لا تنفع معه النصيحة .

٢ – قال الشاعر : **إذا رأيت نيوب الليث بارزة ⁂ فلا تظنّنّ أن الليث يبتسمُ**

يقال لمن يغتر أو ينخدع بابتسامة عدوه .

---

(١) البقرة : ٢٥٧ . (٢) النرجس نبت من الرياحين تشبه بزهرته الأعين ، والعناب ثمرة تشبه النبق تُشَبَّه بها الأنامل المخضبة . (٣) مريم : ٤ . (٤) النواجذ : الأضراس ، وزرافات : جماعات .

٣ – وقال آخر : **أحرام على بلابله الـــــدو حُ حلال للطير من كل جنس**

يقال للشيء يحرم منه أهله، ويتمتـــع به الغربــاء .

الشرح والتحليل

عرفت فيما سبق أن التشبيه يقوم على ركنين أساسيين هما المشبه ،والمشبه به، ولا تشبيه دون هذين الركنيين .

وفي هذه الأمثلة نجد أسلوباً أكثر إيجازاً ،حيث يختفي أحد هذين الركنيين ويبقى الآخر .

تأمل أمثلة المجموعة الأولى تلمح فيها تشبيهاً، ولكن بركن واحد هو المشبه به . ففي المثال الأول شبه الكفر بالظلمات ، وشبه الإيمان بالنور وحذف المشبه « الكفر ، الإيمان » وصرح بلفظ المشبه به « الظلمات – النور » .

وفي المثال الثاني ، شبه الدموع باللؤلؤ ، والعيون بالنرجس، والخد بالورد، والبنان المخضب بالعناب ،والأسنان بالبرد ، لكن المشبه غير موجود ، والمصرح به هو المشبه به .

وفي المثال الثالث شبه الممدوح بالسيف ، وحذف المشبه « الممدوح » وصرح بالمشبه به « السيف » .

وإذا حذف أحد وجهي التشبيه « المشبه » وبقي الوجه الآخر « المشبه به » ينبغى أن نبحث عن تسمية لهذا الأسلوب ، فليس تشبيهاً ؛لأنه فقد ركناً أساسياً من أركانه، فماذا نسميه إذن ؟.

لاحظ أن كلمات « الظلمات ، لؤلؤ ، نرجس ، ورد إلخ ، لم تستخدم في معناها الأصلي ، بل استخدمت بمعانٍ أخرى، إذن هنا نوع من استعارة الألفاظ لغير معناها الأصلي ، لوجود علاقة بين المعنيين ، فاستعيرت (الظلمات) للكفر، لوجود الحيرة والتخبط في كليهما ، واستعيرت لفظة (النور) للإيمان لوجود علاقة حميمة بين النور والإيمان ، فكلاهما يهدي إلى الطريق الصحيح، لذلك سمي هذا الأسلوب (استعارة) ، لكن أي نوع من الاستعارة ؟

لما كان المحذوف هو المشبّه ، والمصرَّح به هو المشبه به، سمي الأسلوب (استعارة تصريحية).

ولتوضيح هذا المعنى نأخذ قول الشاعر « فأمطرت لؤلؤاً » .

فنقول : شبه الدموع باللؤلؤ، لوجود معنى مشترك بينهما ، ولو على سبيل الادعاء ، وحذف المشبه وصرح بلفظ المشبه به على سبيل (الاستعارة التصريحية) . والدليل على أن المراد باللؤلؤ هنا «الدموع » كلمة أمطرت ، والهدف من الاستعارة إبراز جمال المشبه ، والمبالغة في ذلك بادعاء أن هذا الدمع المنهمر من عيون هذه المرأة ليس دموعاً ، وإنما هو «لؤلؤ» يتدحرج على خدها .

وهكذا يمكنك إسقاط هذا الإجراء أو التوضيح على سائر أمثلة الاستعارة التصريحية.

أما أمثلة المجموعة الثانية فَتَنْحُو منحىً آخر، فالمشبه به هو المحذوف عكس الأمثلة السابقة.

ففي المثال الأول (الآية الكريمة) شُبِّه ظهور الشيب في الرأس وانتشاره حتى شمل الرأس كلة « بالنار» لأن النار إذا اشتعلت في جزء من المحروق التهمته كلّه، وأحاطت به من كل جانب ، ولأن النار هي أقرب مثل لسرعة الانتشار ، فقد شبه انتشار الشيب ، وإحاطته بكل شعرة من شعرات الرأس بالنار ، لأن المعنى المشترك بينهما هو السرعة والإحاطة والشمول .

فالمحذوف هنا هو المشبه به والمذكور المشبه « انتشار بياض الشعر » والذي دل على المحذوف « النار » كلمة (اشتعل) لأن الاشتعال خاصية من خصائص النار .

وفي المثال الثاني شبه الشاعر المنية بحيوان مفترس ، ولم يذكر المشبه به «الحيوان» وإنما دل عليه بإحدى خصائصه ، ورمز إليه بشيء من لوازمه ، وهو «أنشبت أظفارها » حين لايوجد للموت أظفار حقيقية ظاهرة للعيان .

ثم تأمل المثال الثالث من هذه المجموعة ،تجد أن الشاعر شبه الشر بعدو، أو حيوان، ولم يذكر المشبه به ، وإنما دل عليه بالنواجذ التي يفترس بها ، وهذه النواجذ ملازمة للحيوان المفترس ، أو للعدو الشرس .

فالفكرة التي يريد أن يوصلها إلينا الشاعر هي ، أن قومه لايخافون العدو حين يكشّر عن أنيابه ، وإنما يطيرون إليه ، ويتسابقون إلى قتاله ، والتصدي له جماعات، وأفراداً .

ففي الأمثلة الثلاثة نلاحظ أن المحذوف هو المشبه به، وهذا الأسلوب يسمى أيضاً (استعارة) حيث استعار للانتشار (اشتعل) وللحيوان المفترس (المنية) وللعدو (الشر) وحذف في كل ذلك المشبه به ، ورمز إليه بشيء من لوازمه ، ولذلك سمَّى العلماء هذا الأسلوب (استعارة مكنية)لخفاء المشبه به واستتاره ، والتكنية عنه بإحدى خصائصه .

ومعلوم أن الشيب ليس له لهب ، وأن المنية ليس لها مخالب ، وأن الشر معنى ليس له نواجذ ، ولا أنياب ، لذلك فإن هذا الأسلوب إنما يهدف إلى الدقة والمبالغة والتجسيد ، وإبراز المعاني ، بصور حسية ، ولتوضيح فكرة الاستعارة المكنية يقال في إجرائها على سبيل المثال لا الحصر ، شبه الشر بعدو قوي كشر عن أنيابه استعداداً لافتراس خصمه ، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه .

وهكذا القول في سائر الأمثلة (١) .

وتأتي أخيراً المجموعة الثالثة لتكشف لنا نوعاً آخر من أنواع التعبير . ففي المثال الأول يشبه المتحدث حالة بحالة : حالة من ينصح من لايستفيد من النصيحة، بحالة من يضرب في حديد بارد، والجامع بين الحالتين هو عدم التأثر والاستجابة .

- تأمل أيضاً بيت المتنبى في المثال الثاني كيف يعرِّض بخصومه الذين يغترون وينخدعون بابتسامته لهم ، ويقول: إن الابتسامة لاتعني الرضا دائماً ، فقد يكشر الأسد لإنسان كي يفترسه ، فيظن لسذاجته أن الأسد يبتسم له ، فينخدع ، فيقع لقمة سائغة لعدوه فهو يشبِّه حالة المنخدع بعدوّه ، بحالة الفريسة تنخدع بتكشير الأسد ، وإبداء نيوبه ونواجذه .
- ومثل ذلك قول شوقي حيث شبه حالته، وهو منفي غريب ممنوع ، أو محروم من التمتع بخيرات بلده ، والعيش آمناً على تراب وطنه ؛ بينما يتمتع الأجانب والغرباء من المستعمرين بجو بلده النقي ومائه العذب ، وينهبون ثرواته .

يشبه الشاعر هذه الحالة بحالة شجر الدوح تهبط عليها الطيور من كل الأجناس، وتُمنع منها طيور البلد المغردة .

- وهذا الأسلوب يُعدُّ نوعاً من الاستعارة ، ولكن ليس في اللفظ المفرد كما عرفنا في التصريحية والمكنية، وإنما في الجمل المركبة التي تسمى الأمثال ، سواء من الشعر أو النثر، ولذلك سميت استعارة تمثيلية ، لأنها تمثل حالة بحالة ، والهدف من هذه الاستعارة هو تقريب المعنى وتجسيده بقصد التأثير والإيحاء بضده .

---

(١) الاستعارة جزء من المجاز اللغوي وعلى علاقة وثيقة بالتشبيه، فهي وإن استخدم اللفظ أو التركيب في غير ماوضع له من المعاني ، إلا أن قربها من التشبيه يجعلها أقرب وضوحاً من المجاز ، وأعمق معنى من التشبيه، حيث تقوم على التشخيص والتصوير والإيجاز ، وليس على المقارنة بين شيئين ، وجعل أحدهما مثالاً للآخر كما في التشبيه .

ومن أمثلتها : « لكل جواد كبوة »[١] « إن البعوضة تدمي مقلة الأسد »[٢] ، « كل فتاة بأبيها معجبة »[٣] .

الخلاصة :

١– الاستعارة هي القسم الثاني من أقسام المجاز اللغوي ، وعلاقتها المشابهة بين المعنى الأصلي للكلمة والمعنى الأستعاري ، وهي تشبيه حُذف أحد طرفيه، أوهي لفظ استعمل في غير معناه الأصلي .

٢– الاستعارة قسمان : تصريحية ومكنية . فالتصريحية ماصرح فيها بلفظ المشبه به، وحذف المشبه .

والمكنية هي ماحذف منها المشبه به ، ورمز إليه بشيء من لوازمه .

٣– الاستعارة التمثيلية تركيب استعمل في غير معناه الأصلي لعلاقة المشابهة مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي .

بلاغة الاستعارة

* تقوم الاستعارة على تناسب التشبيه ، وحذف أحد طرفيه ، وادعاء أن المشبه هو نفس المشبه به في الاستعارة التصريحية .

وادعاء أن للمشبه خصائص وصفات المشبه به في الاستعارة المكنية ، ولذلك كانت الاستعارة أبلغ من التشبيه .

* أما بلاغة الاستعارة من حيث المعنى فتتمثل في براعة التصوير ، ودقة التعبير ، وقوة التأثير.

لنقرأ قوله تعالى عن بني إسرائيل : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ﴾[٤]

كيف صور القوم وقد أحاطت بهم الذلة والمسكنة من كل جانب ، إحاطة الخيمة بمن تضرب عليه وتزداد الاستعارة جمالاً حين نتخيل الذلة والمسكنة ـ وهما أمران معنويان ـ وقد تحولتا إلى خيمتين محسوستين تراهما العين مضروبتين على القوم .

* ولنقرأ للسان الدين بن الخطيب قوله :

فإذا الماء تناجى والحصى وخلا كل خليل بأخيه

(١) يقال لمن يخطئ نادراً . (٢) يقال للقوي الذي يستهين بالضعيف . (٣) يقال : لمن يتعصب لوطنه وأهله . ومثله ، إن البغاث بأرضنا يستنسر ، يقال : للغريب يتطاول على أهل الدار. (٤) البقرة:٦١

كيف حول بالاستعارة الجمادات إلى أحياء تتناجى .

وينفرد كل منهما بالآخر ليكلمه كلاماً هامساً ، وهو بذلك إنما يصور صوت الماء وهو يتخلل الحصى ، ويسيل بينها بهدوء دون أن يحرك لها ساكنا .

* **وخلاصة القول :** أن جمال الاستعارة يأتي من أنها تصوِّر المعنى تصويراً محسوساً موثراً في النفس مع شيء من المبالغة المعقولة . والاستعارة دقيقة في اختيار الألفاظ المعبرة عن المعنى ، على أن يكون هناك تشابه بين اللفظ المستخدم ، والمعنى المستخدم له ذلك اللفظ ، فاستخدام لفظ (الذلة) في سياق « وضربت عليهم الذلة » تعني الإحاطة والشمول وتجسيد المعنى بصورة حسية أي أن المعاني تصبح أجساماً مرئية بفعل الاستعارة كمافي « الشر أبدى ناجذيه » « واخفض لهما جناح الذل » تعني الإحاطة حيث شبه الذل بطائر ، وحذف المشبه به ، ودلّ عليه بإحدى خصائصه ، وهو الجناح.

وتتمثل بلاغة الاستعارة التمثيلية في أن المتكلم يمثل الحالة التي ينكرها ، بحالة يعرفها المخاطب أصلاً ، فإذا رأيت شخصاً يهرف بما لايعرف ، ويتهدد ويتوعد، وأنت تعرف أن ذلك الكلام لاقيمة له ، تقول له تحقيراً لشأنه :« أسمع جعجة ولا أرى طحنا » فالجمال في هذا التشخيص الحسّي المصور للمعنى أدق تصوير .

تدريبات

١- عرف كلاً من الاستعارة التصريحية والمكنية .

٢- استخرج الاستعارة بأنواعها المختلفة من النصوص الآتية :

- سلمت على أسد في المدرسة .
- قال تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾[1]
- قال الحجاج بن يوسف الثقفي في خطبته المشهورة : إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها » .
- وقال المتنبى يصف دخول رسول الروم إلى مقام سيف الدولة الحمداني :

وأقبل يمشي في البساط فما درى إلى البحر يسعى أم إلى البدر يرتقي

(١) إبراهيم : ١

- وقال عمر أبو ريشة :

لا يلام الذئب في عدوانه إن يك الراعي عدوَّ الغنم

٣ - وضح الاستعارات التصريحية فيما تحته خط من الأمثلة الآتية :

- ولد اليوم كوكب لبنى فلان .
- رأيت شمساً بفناء المدرسة تستظل من الشمس
- نجوم اليمن الزاهرة تصدر بياناً حول قضية فلسطين .

٤ - وضح الاستعارات المكنية فيما تحته خط ممايأتي :

- سكت الغضب عن المدير وهدأت أعصابه .
- طعن العالمِ خصومه بالرأي السديد .
- صغت أذان المجد إلى شعب فلسطين .

٥ - وضح الاستعارة التمثيلية فيما يأتي :

- « أنت ترقم على الماء » يقال لمن يعمل عملاً غير مجد .
- « رب رمية من غير رام » يقال لمن أصاب في رأي وهو غير أهلٍ له .
- **ومن رعى غنماً في أرض مسبعة ونام عنها تولى رعيها الأسد**

يقال لمن يهمل ماله حتى ينهبه الأشرار .

* * * * * * * * * * * * * * *

* * * * * * * * * * *

* * * * * * *

* * *

تم الجزء الأول بحمد الله